

فهرست

- ٥ ١ - عصاب شيطاني من القرن السابع عشر
- ٤٨ ٢ - الافعال التسلطية والشعائر الدينية
- ٦٠ ٣ - موازبات ميتولوجية لتمثل وسواسي تشكيلي
- ٦٤ ٤ - حادث من الحياة الدينية
- ٦٩ ٥ - التحليل النفسي وابواب الوقائع في المضمار القضائي
بمنهج تشخيصي
- ٨٤ ٦ - طباق المعاني في الالفاظ البدائية
- ٩٣ ٧ - صعوبة امام التحليل النفسي

ابليس في التحليل النفسي

ترجمة

جورج طرابيشي

سيغموند فرويد

إبليس في التحليل النفسي

ترجمة:

جوز طرابيشي

دار القطبيّة للطباعة والنشر
بيروت

جميع الحقوق محفوظة
لدار الطليعة للطباعة والنشر

بيروت - لبنان

ص.ب ١١٨١٣

تلفون ٣١٤٦٥٩

٣٠٩٤٧٠

الطبعة الاولى

شباط (فبراير) ١٩٨٠

الطبعة الثانية

شباط (فبراير) ١٩٨٢

عصاب شيطاني من القرن السابع عشر^(١)

رأينا ، في دراستنا لأعصبة (٢) الطفولة ، اننا نستطيع ان نكتشف فيها بالعين المجردة الكثير من الاشياء التي لو مر الزمن عليها لبثت اكتشافها بحاجة الى طول تحرر وتقص . وبوسعنا ان نتوقع الوصول الى ملاحظة مماثلة بصدد الامراض العصابية في القرون الماضية ، بشرط ان يتوفر لدينا الاستعداد لتعرفها تحت

١ - ظهر هذا المقال لأول مرة في مجلة أيجالو ، ٩٠ ، ١٩٢٣ ، الكراسة ١ :

«علم النفس الديني» .

٢ - الأعصبة جمع عصاب Névrose : اضطراب وظيفي ، نفسي النساء في الجهاز العصبي ، وهو في التحليل النفسي ظاهرة صراعية فيها ممارسة لدافع غريزي اساسي . -م-

هذه ترجمة كتاب

**Une Névrose Démoniaque
Au XVIIe Siècle
Et Autres Essais**

Par Sigmund Freud

In

**Essais De Psychanalyse
Appliquée**

**Idées - Gallimard
Paris 1976**

قصة الرسام كرسstof هايتزمن

انني ادين لمبادرة حميدة من جاب الدكتور ر. باير - نورن Payer - Thurn ، المستشار في المحكمة العليا ومدير المكتبة الامبراطورية والملكية سابقا للاستعمارات بفيينا ، بما اتاحه لي من فرصة للاطلاع على قصة عصاب من تلك الاعصبة اليبسية في القرن السابع عشر . فقد اكتشف باير - ثورن في المكتبة المذكورة مخطوطة آتية من مزار ماريازل (٥) . وتسرّد بالتفصيل قصة الخلاص العجائبي ، بنعمة القديسة مريم العذراء ، من حلف معقود مع الشيطان . وقد ايقظت اهتمامه بها علاقة هذا الموضوع بأسطورة فاوست ، مما حثه على التبحر في دراسة هذا الموضوع وتوضيحه . لكنه حين اكتشف ان الشخص الذي تصف المخطوطة خلاصه كان يشكو من نوبات تشنجية ومن رؤى ، توجه السي ليحصل على رأي طبي في المسألة . وقد افقنا على ان ينشر كل واحد منا بحثه على حدة وبصورة مستقلة . واني لأعرب له عن شكري لإيجاله لي بفكرة هذا البحث ، وللمساعدة التي قدمها لي مرارا في دراسة المخطوطة .

ان قصة هذا المريض اليبسية تقدم لنا بالفعل كنزا نعتنا به من وجوده بعل الشفافية ، دونما حاجة الى التمعن في التوايل . مثلما يهدي عرق المتحم المكتشف الى المعلن الصرف الخالص الذي لا سبيل الى استخلاص نظيره الا بشق الانفس من الغلز الخليط الذي يتطلب صبرا .

اسماء مفارقة لاعصبتنا الراهنة . ولا تأخذنا الدهشة اذا ما وجدنا اعصبة تلك الازمنة الثانية تنلبس مظهرها يدخل ضمن نطاق علم اليبسيات . بينما اعصبة عصرنا الحاضر ، الذي لا يزال بخطو خطواته الاولى في مضمار علم النفس ، تتبدى . وقد تنكرت في إهاب امراض عضوية ، اقرب في المظهر الى الهجاس السوداوي Hypochondrie . وقد اكتشف عدد من الباحثين كما هو معلوم ، وعلى رأسهم شاركو (٢) ، ظاهرات الهستيريا في تمثيلات المس الشيطاني والانجذاب (٣) التي أورثنا اياها - الفن ، والحق انه ما كان ليحصر اكتشاف مضمون العصاب قسي تاريخ هذه الامراض فيما لو وجد عصرنا من يعبرها المزيد من الانتباه .

لقد كانت النظرية اليبسية الشائعة في تلك الازمنة المظلمة اقرب الى الصحة والصواب من جميع التناولات البدئية التي رأت انور في حقبة الرياضيات التي سميت بـ "العلوم الدقيقة" . فغروب المس تناظر اعصبتنا التي عمدنا الى تفسيرها بالاستعانة من جديد بالقوى النفسية . فالأبالسة في نظرننا نحن ، رغبات شريرة ، مستهجنة ، تنبع من دوافع مكبوحة . مكتوبة . وكل ما هنالك اتنا نتعاشى اسقاط هذه الخلائق النفسية في العالم المسم الخارجى على نحو ما كن يفعل العصر الوسيط : بل ندعيا تولد في حياة المرضى الداخلية حيث مكان اقامتها .

١ - جان مارتين شاركو : طبيب فرنسي ١٨٢٥ - ١٨٩٣ ، مهور
بأبحاثه في الامراض العصبية ، درس عليه فرويد لفترة وجيزة من الزمن .
٢ - الانجذاب Extase : مرض عصبي يتغير بالنسج العقلي ولبات
البصر وجود الجسم وفقدان الحسابية .

تورط في علاقة محرمة مع ابليس (٨) . وللحال اعترف بأنه كان قبل تسع سنوات ، في زمن وهنت فيه مقدرته الفنية وخاف ان تضيق به سبل العيش ، قد استسلم لإغراء الشيطان - الذي قد سعى تسع مرات الى ايقاعه في التجربة - وتعد له خطيا بأن يسلس له قياد جسمه وروحه لدى انقضاء الميقات . وكان أجل ذلك قد اقترب : الرابع والعشرون من الشهر الجاري آنذ (٩) . وعرض الشقي اصابع الندم وداخله الاعتقاد بأن نعمة والدة الله ، عذراء ماريازل ، هي وحدها التي تستطيع انقاذ إرغامها ابليس على ان يعيد اليه العهد الذي خطه بدمه . ولهذا اباح كاتب التوصية لنفسه ان يوجه رسالته الى رهبان ماريازل من الآباء الصالحين ليشملوا بعطفهم وحسن التفاهم «هذا الرجل البائس الذي ليس له من معين» (١٠) .

ذلك ما كتبه خوري يوتنبرون ، ليوبولدوس براون ، في الاول من ايلول ١٦٧٧ .

ويوسعي الان ان اتابع تحليل المخطوطة . وهي تتألف من تسع الاقسام الثلاثة التالية :

١ - من عنوان ملون يمثل مشهد عقد العهد ومشهد الخلاص في مزار ماريازل وعلى الصفحة التالية توجد ثمانية رسوم ، ملونة ايضا ، لظهورات لاحقة للشيطان مع نوبات مقتضبة باللغة

تنقسم المخطوطة ، التي امامي منها نسخة طبق الاصل ، الى قسمين مختلفين تماما : رواية إخبارية محررة باللاتينية بقلم الكاتب او الناسخ الراهب ، وجزء من يوميات المريض مكتوب باللاتينية . ويشتمل القسم الاول على مقدمة وعلى قصة الشفاء العجائبي ، أما القسم الثاني فان لم يكن قد حظي باهمية بالنسبة الى رجال الكنيسة ، فان ذلك لا يزيد الا نفاسة بالنسبة الينا نحن . فإسهامه كبير في تعزيز حكمنا الذي لا يزال يتسم بالتردد بصدد هذه الحالة المرضية ، ومن حق أولئك الرهبان علينا ان نشكرهم على حفظهم تلك الوثيقة ، مع انه ما كان من الممكن ان تخدم مآربهم ، هذا ان لم نقل انها تناقضها .

قبل المضي قدما الى الامام في دراسة الكراسة الصغرى المخطوطة والمعونة باسم Trophaeum Mariano - Cellense يجدد بي ان اتقل للقراء شطرا من مضمونها اقتبسه من المقدمة .

في ٥ ايلول ١٦٧٧ اقتيد الرسام البافاري كرسstof هاينزمن ، وهو يحمل رسالة توصية من خوري بلدة يوتنبرون (جنوب النمسا) ، الى ماريازل ، القرية منها (١) . وكان قد اقام عدة اشهر في يوتنبرون ، يزاول فيها فنه ، وفيها اصابته في ٢٩ آب ، وهو في داخل الكنيسة ، تشنجات رهيبية ، ولما تجددت هذه التشنجات في الايام التالية فحصه ال Praefectus Dominici Pottenbrunnensis (٧) ، وساله عما يعذبه وان كان

٨ - تنوه هنا على عجل باحتمال ان تكون هذه الاسئلة قد «اوجت» للمريض بفكرة تورم حنقه مع الشيطان .

٩ - Quorum Et Finis 24 Mensis Hujus Futurus Appropinquat

١٠ - باللاتينية في النص : Miserum Hunc Hominem Omni Auxilio Destitutum.

٦ - لم ترد اية إشارة في اي موضع الى عمر الرسام . ويوسعا الافتراض بحسب السياق ، أنه كان رجلا بين الثلاثين والاربعين من العمر ، وفي اوجع الطن اغرب الى الحد الأدنى ، وقد توفي ، كما سنرى ، سنة ١٧٠٠ .

٧ - باللاتينية في النص : الوكيل الرباني او المدير الرسولي لبلدة يوتنبرون .

الإمانية . وما هذه الصور بأصلية ، وإنما نسخ - نسخ أمينة على نحو ما هو معلن رسميا - عن الرسوم الاصلية بريشة كز . هانتزمن .

٢- من المتن الذي يضم التذكار Trophaeum ويسروى باللاتينية قصة الخلاص العجائبي ، وهو من وضع ناسخ مرهيب يوقع نهاية الرواية بـ P.A.E ، ويضيف الى هذه الاحرف اربعة أبيات من الشعر يضمها سيرة حياته . وتنالف الخاتمة من شهادة من الاب كيليان رئيس دير سان - لامبير ، بتاريخ ١٢ ايلول ١٧٢٩ ، يؤكد فيها ، بخط مختلف عن خط الناسخ ، دقة التوافق بين المخطوطة والصور وبين النسخة الاصلية المحفوظة في الارشيف . ولا يرد ذكر للسنة التي فيها التذكار . وإنما الخيار بين التسليم بأنه وضع في السنة نفسها التي اعطى فيها الاب كيليان شهادته ، أي في سنة ١٧٢٩ ، وبين إرجاع زمن عمل الناسخ الى ما بين ١٧١٤ و ١٧٢٩ على اعتبار ان آخر تاريخ يرد ذكره في النص هو ١٧١٤ . اما الاعجوبة التي اريد بذلك الكتاب صونها من الشبان فقد حدثت في سنة ١٦٧٧ ، أي قبل فترة تتراوح ما بين ٢٧ و ٥٢ سنة .

٣ - من يوميات الرسام المحررة بالامانية ، والتي تمتد من لحظة تحرره في المزار الى ١٣ كانون الثاني من السنة التالية (١٦٧٨) . وقد أدرجت في نص التذكار قبيل خاتمته بقليل .

تتألف مادة التذكار بحصر المعنى من رسالة التوصية الآتية الذكر بقلم ليوبولد براون ، خوري بوتنبرون ، بتاريخ ١ ايلول ١٦٧٧ ، ومن رواية الاب فرانسيكوس رئيس دير ماريسالز وسان - لامبير ، التي يسرد فيها قصة الشفاء العجائبي . بتاريخ ١٢ ايلول ١٦٧٧ ، أي بعد الرسالة الاولى ببضعة ايام . وقصد كتب المحرر او الناسخ P.A.E مدخلا دمج فيه بنوع ما الوثيقتين كتلتهما ؛ ثم اضاف اليه بعض فقرات للربط غير ذات اهمية ، وفي الخاتمة رواية لفامرات الرسام اللاحقة . استنادا

الى معلومات جمعت سنة ١٧١٤ (١١) .

هكذا تكون وقائع حياة الرسام قد رويت ثلاث مرات فسي التذكار .

١ - في رسالة التقديم بقلم خوري بوتنبرون .

٢ - في التقرير الرسمي للاب فرانسيكوس .

٣ - في مدخل المنشئ .

ومن مقارنة هذه المصادر الثلاثة تبرز بعض الاختلافات التي لن يكون من غير المجدي تحريها وتتبعا .

استطيع الان ان اتابع قصة الرسام . فبعد طول توبة وتكفير وصلاة في ماريازل ، وبتاريخ ٨ ايلول . وهو عيد ميلاد العذراء . وعند منتصف الليل ، استرد من الشيطان ، الذي ظهر في المزار المقدس في صورة تنين مجنح ، العهد المحرر بالدم . وسوف نعلم لاحقا ، على دهنشة عظيمة منا ، ان قصة الرسام كز . هانتزمن تشمل على عهدين مع الشيطان : عهد كتب بالجبر الاسود ، وآخر حرر بالدم . وفي مشهد التعزيم الآنف الذكر لا يرد ذكر . كما يستبان ذلك على كل حال من صورة العنوان ، الا للعهد المكتوب بأحرف من دم ، أي للعهد الاخير في ترتيب التحرير .

هنا يمكن ان يساورنا . بصدد المصادفة التي ينبغي ان نقر بها الرواة الورعاء ، شك ينهنا الى ضرورة عدم تبديد مجهودنا في مسألة هي من نتاج اباطيل المعتدات الرهبانية . فمما ترويه المخطوطة ان عددا من رجال الاكليروس ، المذكورين باسمائهم ، قدموا مساعدتهم طول الوقت للمعزّم عليه . وانهم كانوا حاضرين ايضا عند ظهور الشيطان في المزار . ولو زعمت رواية المخطوطة

١١ - يمكن ان نعثر ذلك بمثابة توكيد بل التذكار ايضا قد حُسِر

سنة ١٧١٤ . -م-

انهم شاهدوا هم ايضا التنين الشيطاني حين ناول الرسام الصك المكتوب بالاحمر (Schedam Sibi Porrigentem Conspexisset) لكننا وجدنا انفسنا امام عدد من الفرضيات غير المستحبة . وقد يكون اقلها إخراجا فرضية هلوسة جماعية . غير ان نص الشهادة التي حررها الاب فرانسيسكوس بالذات يضع حدا لهذا الشك . اذ لم يرد فيها ذكر البتة لكون الرهبان المساعدين قد راوا هم ايضا الشيطان ، بل نصت ببساطة واستقامة على ان الرسام انتزع نفسه على حين بفتة من بين ايدي الرهبان الذين كانوا يمسكون به ليجرع نحو ركن المزار حيث رأى الشبح ثم عاد بعد ذلك والصك بيده (١٢) .

كانت المعجزة كبيرة ، وانتصار وائدة الله القديسة على الشيطان لا ريب فيه . لكن الشفاء لم يكن للاسف دائما . ولتؤكد مرة اخرى على نزاهة الرهبان اذ لم يخفوا هذه الواقعة عن الانظار . فقد غادر الرسام ماريالز بعيد ذلك . وهو في احسن حال ، وقصد فيينا حيث اقام لدى شقيقة له متزوجة . وهناك انتابته ، في ١١ تشرين الاول ، نوبات جديدة ، واكثرها خطير . وقد اوردت اليوميات خبرها حتى يوم ١٣ كانون الثاني . كانت عبارة عن رؤى ، وعن غيوبات كان المريض يحس انتهاءا وبعين شتى الاشياء ، وعن حالات تشنجية ترافقها احساسات مؤلمة للغاية ، ومرة شلل في الساقين . وهكذا دواليك . لكن ليس الشيطان من كان يعوده هذه المرة ، وانما اشخاص قديسون كالسبح والعذراء القديسة بنفسها . والعجيب في الامر ان

اوجاعه الناجمة عن هذه الرؤى القدسية وعن العقوبات التي كانت تنزلها به ما كانت تقل عن تلك التي كان يعانيها سابقا تحت وطأة علاقته بالشيطان . بل انه يضع في يومياته هذه الاحداث الجديدة في باب تجليات الشيطان ، وقد تشكى من تجليات السروح الشرير (١٣) حين عاد في ايار ١٦٧٨ الى ماريالز .

وكانت الدريعة التي تقدم بها الى الرهبان لتعليل عودته انه لا يزال عليه ان يطالب الشيطان بصك عهد آخر كان قد كتبته بالحبر (١٤) . وفي هذه المرة ايضا استجيب التماسه بشقاعة العذراء القديسة والآباء الورعاء . لكن الرواية تلزم الصمت بصدد الكيفية التي حدث بها ذلك . وهي لا تذكر سوى كلمات قلائل :

Qua Iuxta Votum Reddita

(١٥) . من جديد صلي ، واستجابة لصلاته اعيد اليه الصك . ولما شعر عندئذ انه قد تحرر تماما ، انتسب الى رهبانية اخوة الرافة .

وينبغي ان نفر من جديد بأن الطابع المفرض لعمل التناسخ لم يحمله مع ذلك على الحيدان عن جادة الصدق الذي من حقنا ان نطالب به اي راو لقصة مريض . فهو لا يخفي النتائج التي تمخض عنها تحقيق اجري ، بعد وفاة الرسام ، لدى سلطات دير اخوة الرافة سنة ١٧١٤ . فالاب الموقر رئيس الدير يروي ان الاخ كريزوستوموس (١٦) تعرض عدة مرات اخرى لهجمات ابليس الذي

١٢ - باللاتينية في النص : Maligni Spiritus Manifestationes

١٤ - هذا الصك ، الذي حرد كما هو مذكور في شهر ايلول ١٦٨٨ ، كان بالتالي ، بعد تسعة اشهر ونصف شهر ، اي في ايار ١٦٧٨ ، قد تجاوز مثل زمن تاريخ استحقاقه .

١٥ - باللاتينية في النص : « فاعيد اليه حسب طلبه » . -

١٦ - اي قم الذهب . -

12 — Ipsumque Daemonem ad Aram Sac. Cellae per fenestrellam in cornu Epistolae Schedam sibi porrigentem conspexisset eo advolans e Religiosorum manibus, qui eum tenebant, ipsam Schedam Ad manum obtinuit...

كان يريد ان يجره الى عقد عيد جديد . ولكن هذا فقط «عندما كان يفرط قليلا في شرب الخمر» . غير انه امكن على الدوام ، بفضل نعمة الله ، رد الشيطان على اعتابه . وقصد توفي الاخ كريزوستوموس بعد ذلك «بوداعة وملؤه الغراء» بحمي الدق ، في العام ١٧٠٠ . في دير الرهبانية . في نوشتات على نهر مولدوفا .

- ٢ -

علة العهد مع الشيطان

اذا نظرنا الى قصة هذا العهد الشيطاني على انها قصة مرض عصابي . فان مشكلة تحليل العهد - وهي مشكلة ذات صلة وثيقة اصلا بمسئلة تسمييب المرض - ستكون اول ما يستأثر باهتمامنا . فلماذا يهب الانسان نفسه للشيطان ؟ صحيح ان الدكتور فاوست يسأل بازدياء : «ما بوسعك ان تعطيه ، وانت تفكك شيطان مسكين ؟» . لكنه لم يكن على حق : فالشيطان يملك ان يعطي . مقابل نفس خالدة كل صنوف الاشياء التي يثمنها بنو البشر عالي الثمنين : الثروة ، الامان في خضم الخطر . السلطان على الناس وعلى قوى الطبيعة . بل حتى الفنون السحرية . ولكن اولاً . وقبل كل شيء ، المتعة ، التمتع بجماليات النساء (١٧) . فماذا يمكن ان

١٧ - انظر في فاوست ، الفصل الاول (مشهد المكتبة) :

اود الالتزام هنا بخدمتك

ومعانتك بلا كل ولا ملل ؟

ويوم تلقي ثأرية في العالم الآخر

عليك ان تعلمي بالكل .

نكون ، والحالة هذه ، بالنسبة الى كرسstof هايتزمن علة عهده ؟ ليس لاية رغبة من هذه الرغبات الطبيعية تماماً . مهما بدا ذلك باعشا على التعجب . وتلافيا لكل حيرة وتردد . حسبنا ان ندقق النظر في التعليقات المنتسبة الي يرفق بها الرسام ظهورات الشيطان التي صورها . هاكم . على سبيل المثال . ما جاء في التعليق على الرؤيا الثالثة :

«للمرة الثالثة ظهر لي خلال عام ونصف في هذا المظهر الفطيع . وفي يده كتاب ليس فيه الا شعوذة وسحر اسود...» . لكننا نعلم من التعليق المرافق لظهور لاحق ان الشيطان قرع الرسام تقريبا شديدا لانه «احرق الكتاب الذي كان قد اعلن عنه» . وتوعده بان يمزقه إربا إربا اذا لم يستطع تأمينه لسه من جديد .

وفي الظهور الرابع يريه صرة تقود صفراء كبيرة وقطعة كبيرة من النقد الذهبي . ويعدده بان يهبه منها قدر ما يشاء : «لكنني لم اقبل بذلك البتة !» : ومن حق الرسام ، بالفعل ، ان يتباهى بذلك .

وفي مرة اخرى يسأله ان يلهو ويتسلى . ويلقى الرسام على ذلك بقوله : «هذا بالفعل ما حدث بناء على طلبة ، لكنني لم استمر قط اكثر من ثلاثة ايام . وللحال بعد ذلك عدت الى الاستكفاف» . ان يكن اذن قد رفض السحر والمال والملاذات . فما كان له ان يجعلها ضمن شروط العقد . وان المرء لتساوره بالفعل الحاجة الى معرفة ما كان الرسام ينتظره حقا من الشيطان حين تذر نفسه له . وعلى كل ، لا بد ان يكون هناك سبب ما وراء طلب الدخول في اتصال مع الشيطان .

يقدم لنا التذكاري في الواقع بصدد هذه النقطة معلومة مؤثقة . اذ لما استبدت بالرسام السويداء ، كان قد أمسى عاجزا او عاجزا عن العمل . وقد ركبته الهموم بصدد تدبير أمر

معاشه ، مما يعني انه كان مصابا بهبوط سوداوي مع كف عن العمل وخشية (لها ما يبررها) على قوت يومه . اذن فالقصة التي بين ايدينا قصة مريض فعلا . ونحن نعلم في الوقت نفسه ما كان سبب هذا المرض الذي سماه الرسام نفسه - وبصريح العبارة ، بالسويداء («لذا كان ينبغي ان اتسلى واطسرد السويداء» . والمصدر الاول من مصادرها الثلاثة ، اي رسالة التوصية بقلم الخوري ، لا تأتي الا بذكر حالة الهبوط «*adum artis suae progressum emolumentumque secuturum pusillanimitis*» (perpenderet) (١٨) . لكن المصدر الثاني - اي تقرير الاب فرانسيسكوس ، تمكن من ان يسمي لنا نقطة انطلاق هذا التبوط او الاكتئاب ، اذ يقول بهذا الصدد : «*accepta Aliqua pusillanimitate ex morte parentis*» (١٩) . كذلك جاء في مقدمة الناسخ بالانفاظ نفسها ولكن مقلوبة : «*ex morte parentis accepta aliqua pusillanimitate*» . اذن فقد توفي والده ، ولهذا وقع فريسة السويداء ؛ وعندئذ ظهر له الشيطان ، وسأله عن سر اضطرابه وحزنه الشديدين ، ووعده بان «يساعده بكل الوسائل ويسمعه» (٢٠) .

نحن اذن امام شخص يبيع نفسه للشيطان بقية الخلاص من اكتاب نفسي . وهذه في الحق ذريعة ممتازة ! وهي مفهومة تماما بالنسبة الى اي شخص يقدر على وضع نفسه موضع انسان يعاني الام مثل تلك الحالة ويعرف ، فضلا عن ذلك ، مدى ضالة قدرة

١٨ - باللاتينية في النص : «انظروا الى تقدم فنه وقبضه ببوط همة» .م-

١٩ - باللاتينية في النص : «وقد اعتراه تبوط الهمة هذا غداة وقبضة والده» .م-

٢٠ - انظر سورة الصافات الاولى والتفسير الجوامع له : الشفيعر مستنارة في هيئة «بورجوازي محترم» .

فن الطب على تسكين هذا الداء . ومع ذلك ، ليس لاحد ممن قرأنا ان يحزر ما العبارات التي سيبلغ بها العهد المفقود مسجع الشيطان او بالاحرى العبدان الانسان ، واولهما كتب بالحبر . وثانيهما حذر عتدم بعد زهاء نصف عام ، وكلاهما محفوظ . كما هو مذكور . في مدرج ماربازل . ومشتوخ في التذكار .

ان هذين العبدان ليعتبان على العجب الشديدين من زاويتين اثنين . فيما أولا لا تضمن على اي التزام من جانب الشيطان مقابل رهن الخلاص الابدي لديه . كما ان الرسام وحده هو المارم دائما بملكية طب الشيطان . وانه شيء بعيد عن المنطق . بل ضرب من العبث . ان يفامر ذلك الرجل بروحه لا لينال شيئا من الشيطان . بل ليزدي له شيئا . واغرب من هذا ايضا الالتزام الواقع على عاتق الرسام . فليعتد الاول . المكتوب بالحبر . بنص على ما يلي :

انا الموقع هنا ، كرسstof هايتزمن ، ائذ نفسي لهذا السيد وكانني ابنه من صلبه لمدة تسع سنوات .
العام ١٦٦٩ .
 وبنص العقد الثاني . المكتوب بالدم :

سنة ١٦٦٩
كرستوف هايتزمن . اعهد بنفسي كتابة الى هذا الشيطان ، واعدا بان اكون ابنه من صلبه ، وبان اكون بعد تسع سنوات ملكا له جسدا وروحا .

بعد ان عجبنا بزول كله مني ما اعدنا ترتيب نص العهد بحيث يتقرب ما يبدو فيه وكأنه مطلب للشيطان الى وعد من جانيهته بالاحرى . وبمثل بالتالي ما طلبه الرسام منه . وعندئذ يخذ هذا العهد المعز معنى مباشرا ويقعدو قالا للمؤرخ على النحو التالي :

ينعبد الشيطان للرسم ، لسنوات تمنع : بأن يقوم له مقام والد المد المتوفى . فإذا ما انقضى هذا الاجل ، وقع الرسم جسما وروحاً تحت سلطانه ، بحسب الصيغة الدارج استعمالها في هذا النوع من الصناعات . وعليه ، فإن مسار افكار الرسم - التي كانت حافزه الى فعلته ، يتحدد كما يلي على ما يبدو : لقد فقد - بوفاته ابيه - كل رغبة في العمل وكل مقدرة عليه ، فإن وجد بديلاً لهذا الاب ، فأمله عندئذ ان يعوض عن هذه الخسارة . وحتى يغدو المرء سوداويًا بعد وفاة ابيه ، فلا بد ان يكون قد احبه حبا جما . ولكن من المستغرب في هذه الحال ان تخطر في بال الابن فكرة اتخاذ الشيطان بديلاً عن ذلك الاب المحبوب .

- ٣ -

الشيطان بديل الأب

ان تكن قد اوضحنا بلا معاراة مغزى هذا العهد مع الشيطان بالاستناد الى ذلك التأويل المطلوب . فهذا ما ان يسلم لنا بسره - أخشى ذلك - فقد هادىء . فبوسع نقد كهذا ان يواجهنسا بالاعتراضين التاليين . فليس من الضروري اولا اعتبار العهد مقدساً ينص على التزامات الطرفين . بل هو لا يشتمل بالاحرى الا على التزام الرسم ، على اعتبار ان التزام الشيطان بقي مستبعداً من النص ، بوصفه «مضمراً» بنوع ما . والحال ان الرسم يلتزم التزامين : اولا بأن يعتبر نفسه ابن الشيطان لدى تسع سنوات، ثم بأن يكون ملكه جسماً وروحاً بعد مماته . وهذا الاعتراض اذا صح يكون قد قوض أحد الاسس التي بنينا عليها استنتاجنا . اما الاعتراض الثاني فمؤداه انه لا يجوز اعطاء عبارة «ان اكون ابنه من صلبه» وزناً اكبر مما ينبغي ، وانها قد لا تعدو ان تكون

اسلوباً دارجاً في الكلام على نحو ما فهمنا السادة الرهبان . وبالفعل ، لا يترجم هؤلاء الى لائبيتهم البتة الموعودة فسي العبدن . بل يكتفون بالقول بان الرسم نذر نفسه Mancipavit للشيطان : متعهداً بأن يعيش في الخطيئة وبن ينكر الله والتأويل الاقدس . فما الداعي للابتعاد عن هذا التأويل الذي يكاد يكون بديهياً ولا قسر فيه (٢١) ؟ وفي هذه الحال سيكون الامر في غاية من البساطة : انسان سوداوي ، يغترسه العذاب والضييق الميزان لهذه الحالة الهبوطية ، ينذر نفسه للشيطان ويقر له بذلك باعظم سلطان علاجي . وما علينا ان نهنم اكثر من اللازم بكون هذا الهبوط ناشئاً عن وفاة الاب ، فمن الممكن ان تكون له نقطة انطلاق مغايرة تمام . ومثل هذا الاعتراض متين ومعمول في الظاهر . ومن جديد يجد التحليل النفسي نفسه عرضة للعلامة على تعقيده الاشياء الأكثر بساطة حبا منه بالتمسك . وعلى رؤيته اسراراً ومعضلات حيث لا وجود لها . وعلى توصله الى ذلك بنضخيمه الاشياء الثانوية الصغيرة . التي لا نعدم نظيرها اينما اجلسنا الطرف ، وبتمخيله اياها اوسع الاستنتاجات واغربها . وعيشاً قد نردت هنا بان اطراح التحليل النفسي على هذا النحو لن يكون من نتيجته الا الغناء العديد من التشابهات المثيرة وتقطيع الكثير من الارتباطات المرهقة ، مع انه كان من الممكن تليط باهر الضوء عليها . فمناقضونا سيجيبون في هذه الحال بأن هذه التشابهات والارتباطات لا وجود لها بكل بساطة ، وانها متقعة من قبلنا إقحاماً

٢١ - ستوافق نحر انفسنا ، حين سنبحث في موضوع لم ومن جرد ذلك العهدان ، على ان تضمها كان ينبغي ان يوضع بالفاظ مأثوفة وسيله الفهم من قبل الجميع . لكن يكفينا ان نحافظ على الناس في المعنى يمكن معه استبعاد تأويلنا اليه .

ببراعة وائضة عن الحاجة .

ل اقول تمهيدا للرد على ديتك الاعراضين : لتلزم جانب الاستعانة او جانب الصراحة ، فهذا ما يعرض لنا ان نعمله على الدوام دونما مجهود خاص ، بل ساذج الى ابعد من ذلك واقول: اذا كان ثمة من لا يؤمن سلفا ببيعة التحليل النفسي . فليس مثل الرسام كرم . هابتزمن من القرن السابع عشر هو الذي سيعنه بها . ولا يدخل اصلا في نيتي البتة ان اسخدم هذا المثال دليلا على سلامة التحليل النفسي ؛ بل افترض بالاحرى ان التحليل النفسي معترف به ومعمول ، ثم اسخدمه بعد ذلك لتوضح سر مرض الرسام الشيطاني . وهذا الحق انما استمدته من نجاح اجاثنا حول طبيعة الاعصبة بوجه عام . اذ يسعنا التوكيد . بكل تواضع ، انه حتى اكثر معاصرينا وزملائنا في المهنة استفلاي ذهن قد طفقوا يسلمون بانه لا سبيل البتة . بدون التحليل النفسي . الى فهم الامراض العصبية .

«هذه السهام وحدها فتحت طرودة ، هي وحدها» : هذا ما يقر به اوليسس في **فيلوكيتيس** لسوفوكليس (٢٢) .

هان صح اعتبار عهد رسامنا مع الشيطان استيهاما عصابيا . فليس لنا ان نعذر عن نظريا اليه من الزاوية التحليلية النفسية . فالعرائن الصغيرة لها ايضا مغزاها وقيمها . وعلى الاخص متى ما كان المطلوب تحديد الشروط التي راي فيها العصاب النور . صحيح انه من الممكن التحويل او التهوين من شأنها سواء بسواء . وانها لمسالة حصافة ان يدرك المرء مدى ما يمكن تعليقها عليها من قيمة . لكن اذا كان ثمة من لا يؤمن بالتحليل النفسي . ولا حتى

بالشيطان ، فلا تملك الا ان ندع له مهمة معرفة ما سيفعله بقصة الرسام ، سواء اأفلح في تفسيرها بوسائله الخاصة ام لم يجد فيها ما يستاهل توضيحا .

لتعد اذن الى فرضيتنا : ان الشيطان ، الذي ينذر الرسام نفسه له ، هو في نظره بديل الاب . والشخص الذي يظهر الشيطان في صورته للمرة الاولى يتجاوب وهذه الفرضية ؛ فهو بورجوازي محترم متقدم قليلا في السن ، ذو لحية سمراء . ومغطف احمر ، وقبعة سوداء ، يده اليمنى تستند الى عصا ، والى جانبه كلب اسود (الصورة ١) (٢٣) . وبعد ذلك يظهر الشبح بظهر مرعب اكثر فاكثر ، بل ربما جاز لنا ان نقول : بمظهر اكثر أسطورية ؛ فمن عدته فزون ومخالب نسر واجنحة خفاش . وفي الاخير يظهر الشيطان في المزار في شكل تنين طائر . ولنا عوده لاحقا الى تفصيل محدد آخر من تفاصيل هيئته .

حقا انه ان المستغرب في ظاهر الامر ان يقع الاختيار على الشيطان بدلا عن اب محبوب ؛ بيد ان ما ذلك بغريب الا للوهلة الاولى فحسب ، اذ اننا نعرف وقائع اخرى قيمية بالتخفيف من دهشتنا . فنحن نعلم اولا ان الله بديل للاب ، او بتعبير ادق اب مبدل ، او صورة من الاب كما كان يراه المرء ويحس بوجوده في طفولته ، او الفرد في طفولته الخاصة ، او النوع البشري فسي الازمنة السالفة بوصفه اب العشرة البدائية . وفي زمن لاحق نظر الفرد الى ابيه غير هذه النظرة ، فراء متضائل الاهمية ، نوع ما ، لكن تلك الصورة الطفلية الاولى لشت قائمه واندهرت مع النما التوارثة للذكرى الاب السالف لتؤلف التمثل الفردي عن الله . ونعلم ايضا . من خلال المارخ الحميم للفرد كما يحيط عه الشام

٢٢ - فيلوكتيس : في الميتولوجيا الاغريقية يظل من أبطال حصار طروادة اورته هيركليس اسهمه المسومة التي لا تحطه هذتها ، وعلى قصة حباهه سي سوفوكليس مسرحياته .

٢٣ - لدى عومه بخرح الشيطان معه من كلب اسود من هذا النوع .

ببراعة فائقة عن الحجة .

لن أقول تمهيدا للرد على ذلك الاعتراضين : لنلزم جانب الاستغناء أو جانب الصراحة . بهذا م عرضنا ان نعلمه على الدوام دونما مجهود خاص ، بل ساذج الى ابعاد من ذلك وأقول: اذا كان معه من لا يؤمن سلعا بمهمة التحليل النفسي . فليس مثال الرسام كره . هايتزمن من القرن السابع عشر هو الذي سيفتنه بها . ولا يدخل اصلا في نيتي البتة ان أسخدم هذا المثال دليلا على سلامة التحليل النفسي ؛ بل أفرض بالاحرى ان التحليل النفسي معترف به ومقبول ، ثم أسخدمه بعد ذلك لتوضيح سر مرض الرسام الشيطاني . وهذا الحق انه استمدته من نجاح أبحاثنا حول طبيعة الأعصاب بوجه عام . اذ يستعمل التوكيد . بكل تواضع ، انه حتى اكثر معاصرينا وزملائنا في المهنة استفلاق ذهن قد طلقوا يسلمون بأنه لا سبيل البتة . بدون التحليل النفسي . الى فهم الامراض العصبية .

«هذه السهام وحدها فتحت طرودة ، هي وحدها» : هذا ما يفره اوليسس في فيلوكتيس لسوفوكليس (٢٢) .

فان صبح اعتبار عهد رسامنا مع الشيطان استيهاما عصابيا . فليس لنا ان نعتذر عن نظرتنا اليه من الرواية التحليلية النفسية . فانقرائن الصغرة لها ايضا مقارها وقيمتها . وعلى الاخص متى ما كان المطلوب تحديد الشروط التي رأى فيها العصاب النور . صحيح أنه من الممكن التهويل أو التهوين من شأنها سواء سواء . وانها لمسألة حصافة ان يدرك المرء مدى ما يمكن تعليقه عليها من قيمة . لكن اذا كان ثمة من لا يؤمن بالتحليل النفسي . ولا حتى

بالشيطان ، فلا نملك الا ان ندع له مهمة معرفة ما سيفعله بقصة الرسام ، سواء أفلح في تفسيرها بوسائله الخاصة ام لم يجد فيها ما يستاهل توضيحها .

لنعد اذن الى فرضيتنا : ان الشيطان ، الذي ينذر الرسام نفسه له ، هو في نظره بديل الاب . والشخص الذي يظهر الشيطان في صورته للمرة الاولى يتجاوب وهذه الفرضية : فهو بورجوازي محترم متقدم قليلا في السن ، ذو لحيحة سمراء ، ومعتطف احمر ، وقبعة سوداء ، يده اليمنى تستند الى عصا ، والى جانبه كلب اسود (الصورة ١) (٢٣) . وبعد ذلك يظهر الشبح بمظهر مرعب اكثر فاكثر ، بل ربما جاز لنا ان نقول : بمظهر اكثر اسطورية ؛ فمن عدته قرون ومخالب نسر واجنحة خفافش . وفي الاخير يظهر الشيطان في المزار في شكل تين طائر . ولنا عودة لاحقا الى تفصيل محدد آخر من تفاصيل هيئته .

حقا انه لمن المستغرب في ظاهر الامر ان يقع الاختيار على الشيطان بدلا عن اب محبوب ؛ بيد ان ما ذلك بغريب الا للوهلة الاولى فحسب ، اذ اننا نعرف وقائع اخرى قيمية بالتخفيف من دهشتنا . فنحن نعلم أولا ان الله بديل للاب ، او بتعبير ادق اب مبجل ، او صورة عن الاب كما كان يراه المرء وبحس بوجوده في طفولته ، او الفرد في طفولته الخاصة ، او النوع البشري في الازمنة السالفة بوصفه ابا العشرة البدائية . وفي زمن لاحق نظر الفرد الى ابيه غير هذه النظرة ، فراه متضائل الاهمية بنوع ما ، لكن تلك الصورة الطفولية الاولى لبثت قائمة وانصهرت مع البقايا المتوارثة للذكرى الاب السالف لتؤلف التمثل الفردي عن الله . ونعلم ايضا ، من خلال التاريخ الحميم للفرد كما يميظ عنه اللثام

٢٣ - لدى عومه بحرح الشيطان نفسه من كلب اسود من هذا النوع .

٢٢ - فيلوكتيس : في الميتولوجيا الاثرية يظل من أبطال حصار طرودة أورته هيرقليس اسمه المسومة التي لا تحترق هدفها ، وعلى قصة حياته يسوفوكليس مسرحياته .

الحسن . ان املات ذلك الات كتب . ومنها من السدايه .
 روعيه . اما ... اسحت كدث على كل حل في وقت مكر .
 جم ... كدث شمل في سارسى فععيين مسفصن . اي
 سس . فط غر عافيه خضوع وحب . بل كذلك على عاطفة عداء
 وحب سارزع عيه بهيمن . بحسب رؤيتنا للامور ، على
 علاقات ... بهيم . واما بهذا النزاع الذي لا نهاية له بين
 الحسن والاب . من جهة اولى . وبين الحرف والسجسدى
 السوس . من الجبهه الثانيه ، امكن لنا ان نفسر مشحى هامة من
 الاديان وبفورات حسسه على صعيده (٢٤) .

... . نعم ان السطبان الرجيم ينظر اليه على انه عدو
 الله وقريب الضله لفاية بالطبيعة الالهية في آن واحد . بيد ان
 تاريخه ليس معروف . مثل اعمق الذي يعرف به تاريخ الله .
 غير ان ان الادب لم تنس . كى اسس السر . حصه الله .
 ونموذجه في الحياة الفردية يبنى بعيدا عن الاسوار في ...
 الامر . بكن الشيء الاكيد ان الالهة يمكن ان تغلب الى الفة
 اشراق اذا ما دخرتها آلهة غيرها . وعندما يغلب شعب من
 الشعوب على امره . فليس يندر ان تسجل آهته الساقطة الى
 ابالسة في نظر الشعب الغالب . لقد كان ايليس العقيدة
 المسيحية ، سيطر الفروع الوسطى . هو عنه ملاكا ساقطا
 بحسب الميتولوجيا المسيحية ، ومن جوهر واحد والله فسسى
 الاصل . ولا حاجة بنا الى رهافة تحليلية كبيرة كيما نحزر ان الله
 والشيطان كنا متماثلين في الهوية في البدانة ، شخصية واحدة
 اشطرت في زمن لاحق الى وجهين مجبو كل منهما بصفات

٢٤ - عن الطوطم والابو . وتفسير من اسفص . واينك : مشكلات
 علم النفس الديني ١ : ١٩١٩ .

متعارفه (٢٥) . وفى الازمنة البدائية لادب كان الله ذاته تسم
 جميع اسماء المحبة الى عزيت في رسم لاحق الى عيصه .
 ان هذه لسيرة تسميه معروفه لدا جيدا . ان يحسن
 اشمل المنطوي على ساقض يتنازع الى نفس صارخي انسان .
 لكن هذه السفسفد في طبيعه الله البدائية هي انعكاس للاردواجيه
 التي يسمى ... من ان ارد سبه بالذات . فان يكن الله
 ارحمه والعدو بديلا . فلم يخفنا العجب اذا ما تجسد
 الموقف الحسن . موثف اعتقد واكره والتفرد . في احتشلاف
 الشيطان (وعنى هذا الاساس . يكون الاب هو النموذج البدائي
 والفردى لله والشيطان على حد سواء . ومن هذا المطلق قدن
 الاديان لا بد ان تكون حاملة هي نفسها لان لا يحصى خنعه فيها
 واقع ان الاب السنى كان كائنا خبيث الطوية الى غير ما حد ،
 اشبه بالشيطان منه بالله .

من المؤكد انه ليس من السهل الى هذا الحد اكتشاف أثر
 حضور السطبي لاب في حياة اعداء عيسيه . لكن حين
 يرسم 'علام الضمير وحوى مكشرد وكارتورية' . فقد بلغ في
 ان شب انه 'ير' من انه نب . وعنده يحذف النصيب والبنات
 من المنصوص ، قطع الطرق . ويوسع بحر ما سعوه ان يعرف
 في هؤلاء الاخيرين مشتقات للاب (٢٦) . كذلك فان البهائم التي
 تظهر في ارمية الحيوان لدى الطفل هي في اكثر الاحيان بدائل
 للاب ، متلما كان الحيوان الطوطمي بديله في الازمنة السالفة .

٢٥ - انظر ت . واينك : الله الاسي والله العربي . فسي ايمانفو ، ٣ ،
 ١٩٢٢ . في النفس الضمير : الله والشيطان .
 ٢٦ - يبدو الاب الذئب في حكاية الجديان السبعة المعروفة وانه يقترب
 جرم سرقة مع حلق .

لكن من النادر أن نعاين ، بمثل الجلاء الذي نعاين به لدى رسامنا المصوب (٢٧) من القرن السابع عشر ، واقع أن الشيطان هو صورة عن الأب وبذيله . ولهذا أعربت عن أملي ، في بداية هذا النص ، بأن تهدينا قصة مرض شيطاني من هذا النوع الى عرق معدن خالص ليس لنا أن نحصل على نظيره من فلزات الترابطات والأمراض العصبية لعصر تالر - عصر ما عاد يؤمن بباطل المعتدات ولكنه بات مصابا بالمقابل بهجاس المرض - أقول : ليس لنا أن نحصل على نظيره من هذه الفلزات الخام الا بمجهود تحليلي شاق (٢٨) .

وأعلب الظن ان اقتناعنا هذا سيتعزز أكثر بعد اذا ما تعمقنا في تحليل مرض رسامنا . فليس ثمة من شيء خارق للمألوف اذا ما عانى شخص من الأشخاص ، على أثر وفاة والده ، هبوطا سوداويا وكما عن العمل . وسنستنتج في هذه الحال انه كان يكنّ لذلك الأب حبا جمدا . وسنستذكر كيف تظاهر سويداء حادة في كثير من الأحيان كتعبير عصائبي عن الحداد . ولن نكون في هذه الحال الا على صواب . لكن بشرط الا

٢٧ - المصوب Névrosé : المصاب بالمصاب . م.

٢٨ - لكن لم نلح الا فيما ندر في تحليلنا في اكتشاف الشيطان كبديل للأب ، بلعل مرد ذلك الى ان هذا الوجه من وجود ميتولوجيا القرون الوسطى ما عاد مند رمر يلعب دوره لدى الأشخاص الذين يقصدوننا لتحليلهم . أما هي بشر مسيحي القرون الماسية الورد تال الابن الشيطان "ال واد لا يمين إرثاميه عن الإيمان بالله . فقد كان بحاجة الى السوء لتدفعه من مواجهة الله . ولما سادس الإيمان في زمن لاجي . وتسابت نفس . أصاب أول ما أصاب سجن الشيطان . ولو أصعبا الجلاء على بعض فرد السوء كبديل عن الأب على درج الخصارة . لاستعاضا ما محاذ . السوء . و من انصر الوسيط ان ينظر اليها بطرق جديدة .

نستنتج من ذلك أن تلك العلاقات كانت منسوجة من حب خالص . بل على العكس : فالحداد على فقدان الأب سيتحول بسهولة أكبر الى سويداء اذا ما كانت العلاقات به تتسم بسمة الأزواجيه . ونحس . بتشديدنا اللهجة على هذه الأزواجيه - نهى انفسنا لهم عملية الانتعاص من قدر الأب ، كما يفصح عنها عصاب الرسام الشيطاني . ولو كان متاحا لنا أن نجتمع من المعلومات عن شخص كره هاتيزمن بقدر ما نجتمع منها عن مريض من مرضا الذين نقوم بتحليلهم ، وكان امكن لنا بيسر وسهولة أن نتبحر في تلك الأزواجيه ، وأن نحمل المريض على أن يتذكر من جديد متى وفي اية مناسبة دعاه الداعي الى أن يخشى جانب أبيه وييفضه ، ولكن امكن لنا بوجه خاص أن نكتشف العوامل الطارئة التي انضافت الى العوامل النمطية لكراهية الأب ، هذه العوامل التي تكن جذورها حتما في العلاقات الطبيعية بين الأب والابن . ولعلنا كنا سنجد على هذا الاساس تفسيراً خاصاً للكف عن العمل . ومن المحتمل أن يكون الأب في هذه الحال قد عارض رغبة ابه في ان يصير رساما ؛ ومن ثم فإن العجز الذي انتاب هذا الأخير ، غداة وفاة والده ، عن مزاوله فنه ليس ، من جهة أولى ، سوى تظاهر للطاعة المرحاة - وهذه ظاهرة معروفة جيدا - كما ان هذا العجز الذي سد في وجه الابن سبل تدبير معاشه وقوت يومه قد زاد . من الجهية الثانية ، من تحسره على الأب بصفته حاميا من هوم الحياة ، ثم ان هذا العجز ، يوصفه طاعة متأخرة ، تعبير عن تبهيت الضمير وقصاص ذاتي بالغ النجس .

بالنظر الى تعذر اخضاع كره هاتيزمن ، المتوفى سنة ١٧٠٠ ، لمثل هذا التحليل ، فلا مناص لنا من الاقتصار على تسليط الضوء على خصوصيات قصة مرضه القمينة بأن تزودنا بتوجيهات بصاد المطلقات النمطية لموقف عدائي حيال الأب . وهذه الخصوصيات ليست بالكثيرة عددا ، كما انها ليست ملفتة كثيرا للنظر ، ولكنها

عظمه الفائدة .

بادى ذي بدء دور العدد ٩ . فالتعب مع الشيطان معفود
سبع سنوات . وروايه حورى بوتنرون الجديره بالتصديق بلا
حدس مفتح في ذلك صوح . Pro Novem Annis Syngraphen
Scriptam Tradidit (٢٩) . ورسالة التوصية هذه .
المؤرخه في ١ ايلول ١٦٧٧ : تدلنا ايضا على ان الاجل سيفضي
في غضون تسعه ايام . Quorum Et Finis 24 Mensis Hujus
Futurus Appropinquat (٣٠) . وعلى هذا يكون العهد قد وقع
في ٢٤ ايلول ١٦٦٨ (٣١) . ويرد ذكر العدد تسعة في هذه الرسالة
مرة أخرى أيضا : Nonies — تسع مرات — أي ان الرسام قاوم
تسع مرات لم يرعه تجرب الشيطان قبل ان يسقط . وهذا
التفصيل ان يرد به ذكر في الروايات اللاحقة . وقد جاء أيضا في
شهادة رئيس الدين Post Annos Novem (٣٢) . ويردد
التاسع في سنته Ad Novem Annos (٣٣) : مما يدل على ان هذا
العدد لم يعتبر مما لا يعتد به .

ان العدد تسعة مألوف لدينا في الاستيهامات العصابية . فهو
عدد شهور الحمل ، وهو يوجه انتباهنا على الدوام : حال ظهوره .
الى تحييل يتفق بالحمل . صحيح ان الكلام يدور . ننسبه الى
رسامنا ، عن تسعة أعوام لا عن تسعة شهور ؛ وقد يقال ايضا ان

٢٩ — باللاتينية في النص : « تسعة سكا مكتوب » اجله سبع سنوات . —

٣٠ — باللاتينية في النص : « سينتهي الاجل في ٢٤ من الشهر الجاري » .

— ٣ —

٣١ — سهتم فيما بعد بالتناقض الممثل في ان العهدين يجلان تاريخا
واحدا هو سنة ١٦٦٩ . —

٣٢ — باللاتينية في النص : « بعد تسع سنوات » . —

٣٣ — باللاتينية في النص : « تسع سنوات » . —

العدد تسعة هو بحد ذاته عدد ذو مغزى ودلالة . ولكن ما
يدربنا ان العدد تسعة ، بوجه عام ، لا يدين بفسط كبير مسن
حظوته لدوره في الحمل ؟ وبس لتحويل الشهور التسعة الى
سنوات تسع ان يصلنا عن سواء السبيل . فتحن نعرف من الحلم
كيف ان « نشاطنا النفسي اللاشعوري » يتصرف على هواه بالأعداد .
فان صادفنا في حلم من الاحلام العدد خمسة ، على سبيل المثال ،
فلا بد ان نرجعه في كل مرة الى عدد « خمسة » له اهميته فسي
حياة اليفظة ؛ المقصود في الواقع خمس سنوات كفارق فسي
السن . او شركة من خمسة اشخاص ؛ لكن هذه الخمسات تبدى
في الحلم في شكل خمس ورقات نقدية او خمس ثمار . اذن
فالعدد يبقى هو هو ؛ لكن ما يدل عليه هو الذي يتغير تبعاً لاحتاجات
الكتيف واسم في الحلم . وسبع سنوات في الحلم يمكن بسهولة
ان تقابل تسعه شهور في الواقع . ويتصرف عمل الحلم بأرقام
حياة ايقطه بطريقه أخرى أيضا . اذ يضرب صفحا . وبلامبالاة
مطلعه . عن الاصغار . ولا يعبرها اعدادا . وعلى هذا مسر
خمس دولارات في الحلم يمكن ان تمثل خمسين دولارا او
خمسئة او خمسة آلاف دولار في الواقع .

ونتم معة تفصيله أخرى في علاقه الرسام بالشيطان تردنا
بدورنا الى الجنسية Sexualité . فقد رأى الشيطان لأول
مرة ، كما أسلفت الإشارة ، في صورة بورجوازي محترم . لكن
سرعان ما تبدى له الشيطان ، في المرة الثانية ، عازيا ، شائمه
الشكل ، وله ثديا امرأة . وفي كل ظهور من ظهوراته الساليسه
سيكون له زوج او أكثر من الانداء . وفي واحد من هذه المظهرات
فقط سيجمل الشيطان . علاوة على الانداء ، قضى صحتها له
نهاية تعابيه . وهذا الانحاج على مميزات الجنس المؤنث بـسداء
جسيمة ومتدلية (لا إشارة هناك على الاطلاق الى الاعضاء
التناسلية المؤنثة) قد يبدو متناقضا تناقضا صارخا مع فرضيتنا

القائلة بأن الشيطان هو لوسامنا بديل عن الأب . والحق ان مثل هذا التمثيل للشيطان هو بعد ذاته غريب ومخالف للمألوف . صحيح انه حينما ينفذ «ابليس» مفهوما من مفاهيم النوع ، وانه حين يظهر بالتالي عدد كبير من الابالسة ، فلا عجب ان وجدنا بعض هذه الابالسة وقد صورت في صورة اناث ؛ لكن بخيل الي ان «ابليس» ، بشخصيته البارزة والقوية وبكونه سيد الجحيم وعدو الله ، لا يمثل ابدا الا ذكرا ، بل اكثر من ذكر ، بقرون وذنوب وقضيب تمباني كبير .

بيد انه باستطاعتنا ، بالاستناد الى تينك القرنيتين البيطيتين ، ان نحذر ما العامل النمطي الذي يشرط الجانب السلبي من علاقات الرسام بابيه . فما يصارع ضده انما هو الموقف المؤنث ازاء هذا الاب ، وهو موقف يدرك نقطة أوجه في تخيل انجاب طفل منه (تسع سنوات) . وغالبا ما تلقي في تحاليلنا هذه المقاومة التي تتخذ اشكالا مثيرة للاستغراب في التحويل Transfert وتنصب في وجهنا عقبات لا يستهان بها . وهاهوذا رسامنا وقد نشط لديه من جديد ، تحت تأثير حداده على ابيه الفقيد وحينه المتعظم اليه ، تحيل الحمل الذي كان قد كبته منذ زمن بعيد ، فما عاد امامه من وسيلة للودود عن نفسه ازاء هجمة هذا التخيل سوى العصاب والانتفاص من قدر الاب .

لكن لماذا يحمل هذا الاب المخطوط الى دور ابليس صفات المرأة الجنسية ؟ ان هذه السمة تبدو للوهلة الاولى عسيرة التأويل ، لكن سرعان ما يحضر امامنا تفسيران يزاحم واحدهما الآخر ، وان كانا لا يتنافيان . فالوقوف المؤنث من الاب ضرب عليه نطاق من الكبت حالما ادرك الصبي الصغير ان لمنافسة الراد على حب الاب شرطا ، وهو التخلي عن عضو ذكوره ، اي الخصاء . وعلى هذا يكون نبذ الموقف المؤنث نتيجة الصراع ضد الخصاء ،

وهو يجد قياسيا اقوى تعبيره في الحسن المعكوس . خص . الاب نفسه وتحويله الى امرأة . وعلى هذا الامتحان يكون ابليس بمثابة إسقاط لانوية الاب عن الحسن الاثري . ثم . الثاني لهذه الصفة الجنسية من سمات الحسن فمطبعة حتى . وبوجهه يكون هذا الشكل رسمه على ان احب الخلق . حوّل الى الاب وانه ينطوي . كما في عن سبب اموي . وهو مسؤول الى حد ما عن الخداء ازاء الاب . وما الانداء اسمه الا علامة ايجابية على جنس ام . وهذا في زمن لا يعرف «العدس» بعد السمة السلبية للرمز . اي غياب الغضب (٢٤) .

ان كان النفور من أمبول بالخصاء قد جعل من المنعذر على رسامنا ان يتحور من حينه الى الاب . فيسير علينا في هذه الحال ان نفهم ان يكون قد قصد صورة الأم طلبا للوعود والحلاص . ولهذا يصرح ان والدة الله القديسة الماريازية هي وحدها القادرة على تخليصه من العهد الذي تعهد به لإبليس ، وفي يوم ميلاد العذراء (٨ ايلول) يعود بالفعل بالحلاص . ولن يقيص لنا اسدا بطبيعة الحال ان نعرف ان لم تكن اليوم الذي عقد فيه العهد . ٢٤ ايلول . يوما له مدلوله القديسي الخاص هو ايضا .

ولعل اكثر ما يقابى بالنفور وعدم التصديق من الراشد السوي في افتراضات التحليل النفسي عن حياة الطفل النفسية هو الموقف المؤنث للنفس الصغير من الاب . وتحيل الحمل الذي يترتب عليه . و . كما صار في مقدورنا ان نتكلم عن هذا الموقف بلا مراعاة وبلا حاجة الى طلب مسوغات له الا منذ ان نشر رئيس المحكمة العليا في اقليم الساكس ، دانميل بول شيرر

٢٤ - ذكرى من طوله لوداردو دافنشي ، الزمان الكاملة ، الجلد ٤ .

Schreber ، قصة مرضه الذهاني وشعائه شبه الشام (٢٥) .
وقد اناح لنا نشر هذا الكتاب الثمين الإخلاق على ما يلي : فقد
ساور السيد رئيس المحكمة العليا . وهو في حوالي الخمسين من
العمر . يعين مطلق بأن الله - المتسم باسمت السبب - اعرف
لواند الرئيس . العظم المحرم اندكور شيرير - قد أبرم قراره
بان يخصيه وبان يعامله كامراه وبان يسولده شرا جددا مسن
طينه آل شيرير اوكان هو نفسه بل اولاد من رواجه . وبحت وطاه
الصراع الذي حاض غماره ضد نيه الله تلك . التي بدت له طاله
محجفه بقدر ما هي «معاكسة لنظام الكون» ، سنط مريضاء وظيروت
عنيه جميع اعراض الذهان الهذاني Paranoia اندي ما لبث
ان خفت حدته مع مر السنين حتى لم يبق منه سوى رسايمة
طيفة . ويدهي ان كاتب قصة مرضه ما كان ، علسي نياهته .
ليشتبه بانه يكشف فيها عن عامل نمطي من عوامل نشوء الامراض
النفسية .

هذا النور من الخضاء او من الموقف المؤث سلخه العريد
ادار (٢٦) من سياقه العضوي وأرجعه . من خلال علاقات سطحية
او كاذبة ، الى ارادة القوة ، وسادر على انه ميل مستقل عمده
باسم «الاحتجاج الذكوري» . لكن بما ان العصاب لا يمكن ان
ينشأ الا عن نزاع بين ميلين ، فمن المسوغ لنا ان نرى علة «جميع»

٣٥ - د.ب. شيرير : مذكرات مريض عصبي ، لايرع ١٩٠٧ . فلان مع
حبيبي بحانه شيرير : ملاحظات تحليلية بنفسه حول السيرة الذاتية لصابه
بالذهان الهذاني . في المجلة الفرنسية للتحليل النفسي . ١٩٣٣ - الاسفار .
٣٦ - العريد دس : طبيب ودلم هس . ر. ١٨٧٠ - ١٩٣٧ . دس احد
اكثر اسمايين بردهم حركة التحليل النفسي وود مع مدته ب. هس
الغربي واسطفي .

الأعصبة في الاحتجاج الذكوري كما في الموقف المؤث الذي هو
موضوع هذا الاحتجاج . ولا مراء في ان للاحتجاج الذكوري دورا
مطردا في تكوين الطبع . وهو دور بانغ الهمية في بعض
الانماط ، كما لا مراء في ان الاحتجاج المنشأ ايه يسحب اماما .
في تحليل المعصوس من ارجال . في صورة معارضة عنيه .
ويقين التحليل النفسي الاحتجاج الذكوري بحق قيمه بدالته
عدة الخضاء . من دون ان يكون في وسعه ان يثبت كليه قدرته
او كليه حضوره في الأعصبة . ومن بين جميع حالات الاحتجاج
الذكوري المتظاهر في جملة من ردود الافعال والسمات الطبيعية
البيئية . كانت أبرز الحالات التي استدعت تدخلها حالة عصاب
وسواسي امكن فيها للنزاع غير المحلول بين الموقف المدكر والموقف
المؤث (خوف الخضاء ولذة الخضاء) ان يعبر عن نفسه بوضوح
وجلاء . زد على ذلك ان المعالج كانت تتباه استيهامات مازوخيه
تتجه جميعها باتجاه الرغبة في القبول بالخضاء ، ولقد وصل به
الامر ، تحت دفع هذه الاستيهامات ، الى طلب اشباع مادي لها
بطريقة شاذة . وكانت حالته في جملتها تقوم - شأنها أصلا شأن
نظرية أدلر - على اساس من الكبت ونفي التثبيتات الحبية العائدة
الى الطفولة الاولى .

لقد وجد الرئيس شيرير سبيله الى الشفاء حين فر عزمه على
العزوف عن مقاومة الخضاء وعلى الارتضاء بالدور المؤث الذي
قيضه الله له . فساوره عندئذ شعور بالهدوء والصفو والطمأنينة .
واستطاع ان يطلب وان يحقق بنفسه خروجه من المصح العقلي ،
وان يحيا حياة سوية ، وذلك باستثناء النقطة اليتيمة التالية :
وهي تكريسه بشع ساعات من كل يوم لشؤون نواته . وفقد
رسخ لديه الاقتناع بان التقدم المؤيد لهذه الأخيرة سيدرك لا محالة
الهدف الذي عيئته له الرب .

العهدان

سطوي قصه وسامت على تفصيل فريد مشير للاستناد . يمثل في تصريجه منه عقد مع اثنين عهدين مختلفين . وقد نص العهد الاول . المكتوب بالحبر الاسود . على ما يلي :

"انا الموقع ادناه . كره . ه . . . انذر نفسي ليد . السيد وكانني ابنه من صلبه لمدة تسع سنوات" . اما نص العهد الثاني . المحرر بالدم . فكما هي : "كره . ه . . . اعهد بنفسى كتابة الى هذا الشخص . واعداً . ان اكون ابنه من صلبه وبـ انور عند سماع سواك منكاه جسداً وروحاً .

واستحسن الاسمين بهذين العهدين كانتا موجودتين بطبيعته اجمال . لدى تحرير **التذكارات** . في محفوظات دير ماربارل : وكانها كلاهما تحملان تاريخاً واحداً هو سنة ١٦٦٩ . لقد اتيت بذكر هذين العهدين تكراراً ، وسوف اوليها الا مزيداً من الاهتمام . وان يكن خطر المبالغة في التدينس مسمى التفاصيل يبدو هنا كبيراً فعلاً .

انه الامر غريب ان يندر شخص نفسه لايليس مريب . وعلى نحو يحل معه العهد الثاني محل الاول من دون ان ينسخه ويحل محله . ولعل من اليق قصص ايليس واعتادها . لن تأخذها الدهشة التي اخذتنا . ولكني لا املك : من جانبي . الا ان ارى في ذلك سمة سمرود بها العانة التي هي موضوع بحثنا . ولقد ساورني الشك حين لاحظت ان هذه النقطة هي بالتحديد النقطة

التي لا يعق حولها الروايات . والحال ان دراسة هذه المناقضات سمعودى عن نحو لاموقع الى تفهم اعلى لحاله مريض .

ان الامر ، بموجب رسالة الوصية الصادرة عن حوري بونيروت . ليو بمنتهى البساطة والوضوح . فهي لا تذكر سوى عهد واحد كتبه الرسام بالدم قبل تسع سنوات وكان يفرض فيه ان يحرق اجله في غضون بضعة ايام . في ٢٤ ايلول : وعليه فان هذا العهد قد حرر في ٢٤ ايلول ١٦٦٨ ؛ لكن هذا التاريخ ، الذي نستطيع استنتاجه بيقين . لم يرد له ، مع الاسف ، ذكر صريح .

وبالمقابل فان الامر يبدو اشد تعقيداً بموجب شهادة رئيس الدير فرانسيسكوس المؤرخة . كما تعلم . بعد بضعة ايام (في ١٢ ايلول ١٦٧٧) . ولا بد لنا من التسليم ، بناء عليها ، بان الرسام قد ادلى في غضون ذلك بمعلومات اكثر تفصيلاً . فقد جاء في الشهادة المذكورة ان الرسام وقع عهدين ، الاول في ١٦٦٨ (وذلك كما هو مفروض بالفعل بموجب رسالة التوصية) ، وقد حرر بالحبر الاسود ، والثاني في **السنة التالية ١٦٦٩** (٢٧) ، وقد حرر بالدم . والعهد الذي اعيد اليه يوم ميلاد العذراء كان العهد الذي كتب بالدم ، اي العهد الثاني المعقود سنة ١٦٦٩ . وهذا لا يستبان من شهادة رئيس الدير ، اذ كل ما جاء فيها يصدد ذلك هو فقط ما يلي : Schedam Redderet (٢٨) و Schedam Sibi Porrgentem Conspexisset (٢٩) ، وكان الامر لا يبدو ان يكون امر ملك واحد . ولكن ذلك يستبان من شمة الفضة ، وكذلك من عنوان **التذكارات** اللون الذي تشاهد فيه بوضوح الكتابة

الحمراء على الصك الذي يمسك به الثنين الشيطاني . وكما تقدم بنا القول سارت الامور لاحقا على الوجه التالي : فقد رجع الرسام في ايار ١٦٧٨ الى ماريانزل ، بعد ان تعرض في فيينا لهجمات جديدة من قبل ابليس ، وقدّم التماسه الذي طلب فيه ان تعاد اليه ، بشفاعة جديدة من العذراء القديسة ، الوييقة الاولى المكتوبة بالحبر ، والطريقة التي تم بها ذلك لم توصف هذه المرة باتوسع الذي وصفت به في المرة الاولى . فقد ورد القول فقط *qua iuxta votum Reddita* (٤٠) ، وفي موضع آخر يروي الناسخ ان هذا العهد عينه «المدعوك والمزق الى اربع» رمى به الشيطان الى الرسام ، في ٩ ايار ١٦٧٨ ، في حوالي الساعة التاسعة مساء .

بيد ان العهدين يحملان كلاهما تاريخا واحدا : سنة ١٦٦٩ . فلما ان هذا الاختلاف لا يعني شيئا على الاطلاق ، ولما ان يحملنا على التفكير على النحو التالي :

اذا اعتبرنا ان بيان رئيس الدير هو الاكمل ، نهضت امامنا إشكالات شتى . فحين اعترف كر. ه... لخوري بوتنبرون بأنه فريسة للاحتقات ابليس وان اجل الاستحقاق بات وشيكاً ، ما كان من الممكن ان يذهب به الفكر (في سنة ١٦٧٧) الا الى العهد المعقود سنة ١٦٦٨ ، اي العهد الاول ، الحرر بالاسود (وهو العهد الذي لا تشير رسالة التوصية الى صك سواه، وان نعتنه بأنه مكتوب بالدم) . غير انه لم يعد له من هم بعد بضعة ايام ، في ماريانزل ، الا ان يحصل من جديد على الثاني ، المكتوب بالدم ، والذي لم يحن بعد اجل استحقاقه (١٦٦٩-١٦٧٧) ، من دون ان يبالي باستحقاق اجل الاول . وهذا العهد الاول لا يعود الى المطالبة به الا في سنة ١٦٧٨ ، اي في السنة العاشرة من عقده . ثم ما علة تاريخ العهدين

كليهما بسنة واحدة هي سنة ١٦٦٩ . مع ان واحدهما معسزو عبارة صريحة الى «السنة التالية» (٤١) ؟

يبدو ان الناسخ احس بهذه الاشكالات ، فحاول تدليلها . ففي مدخله سعيد بن رسن الدير ، كنه عدله في مظه واحدة . فهو يقول ان الرسام عقد في سنة ١٦٦٩ مع الشيطان عهدا كتب بالحبر . وبعد ذلك *Deinde Vero* ، بالدم . وبضرب صفحا عن المعطيات الشكلية للروايتين - بموجب هذه المعطيات يستحق اجل احد العهدين في سنة ١٦٧٨ - كما يفض النظر عن الملاحظة التي وردت في شهادة رئيس الدير من ان تاريخ السنة قد تبدل بين توقيع كلا العهدين ، كيلا يخالف التاريخ الذي يحمله الصكان اللدان اعادهما ابليس .

فسي شهادة رئيس الدير ، وبمسند عبارة : **فسي**

السنة التالية ١٦٦٩ ، وردت بين قوسين هذه الفقرة :

Sumitur Hic Alter Annus Pro Nondum Completo Uti Saepe In Loquendo Fieri Solet, Nam Eundum Annum Indicant Syngraphae Quarum Atramento Scripta Ante Prae-
sentem Attestationem Nondum Habita Fuit. (٤٢) .

وهذه الفقرة تدليس لا مربة فيه من جانب الناسخ ، لان رئيس الدير ، الذي لم يقع بصره الا على صك واحد ، لا يستطيع ان يشهد على انهما يحملان كلاهما تاريخا واحدا . ويبدو على كل حال ان الغرض من استعمال القوسين هو الإشارة الى ان ما بينهما

٤١ - باللاتينية في النص : *Anno Subsequenti* - م-

٤٢ - باللاتينية في النص : «هذه السنة الاخرى تعتبر غير مكتملة بعد كما دوحث العادة على القول ، لان الصك ، اللذين لم يعررا بالحبر قل هذه الشهادة ، يشير الى سنة واحدة» . م-

٤٠ - «فأمد اليه حسب طلبه» . م-

أما من حرج الشهود . هذه الأساطير المسماة بن فوسن هي بمثابة محاولة أخرى من جانب النسخة لتجديد الأساطير المشار إليها . فلا نكت في أن هذا الأخير كان عهد بن العهد الأول وقد عهد فعلا في سنة ١٦٦٨ . ولكن هذا العهد كان قد خدمت في أشهر الأول . فلا بد أن الرسام قد سبق تاريخه بسنة واحدة . وهكذا بات للعهدين تلميذا تاريخ واحد . وكونه قد ارجع نفسه للهواء إلى ما درجت العادة على اللجوء إليه في كثير من الأحيان في التعديل الشخصية لجعل كل هذه المحاولة تفسيره بأقله من الأساس . وهي لا تعدو بالأصل أن تكون ضربا مسنن المنص السريع .

لست أدري أن كل عرضي هذا قد ترك أثرا في القاريء وحمله على الاهتمام بهذه العاصيل . ونقد كان يخيل إلي أنه من المستحيل إعادة وضع الأمور في نصابها على نحو لا ريب فيه . لكنني توصلت ، وأنا أدرس هذه القضية المختلطة . إلى افتراض من شأنه أن يهدينا بصورة طبيعية تماما إلى الكيفية التي حدثت بها الأمور ، حتى وأن تكن الشهادات المكتوبة لا تتفق البتة وإياها . فانا اعتقد أنه حين قدم الرسام إلى ماريازل للمرة الأولى لم نكلم إلا عن عهد واحد . حررت بالدم بحسب ما كان متبعا ، وكان معروضا به أن نسحق أجله فرسا . فهو رأى في عهد عهد في أيلول ١٦٦٨ ، تماما كما جاء القول في رساله أوصيه الصادره عن الجوري . وفي ماريازل أبرر أيضا عهد الدم هذا بوصفه العهد الذي أعاده إليه المنس بارغام من الأم أعديسه . ونحن نعلم ما حدث بعد ذلك . فسرعان ما نرد الرسام المحج وقصد فيينا حيث شعر بالفعل أنه قد قرع عنه إلى مصنف تشرس الأول . لكن عهد عهد عاوده ١٧٤٠ والرؤى التي غراها إلى مساعي الشيطان .

في الأثر الثاني

يشف . إلا تبقى استقبالا حسنا في ماريازل . وتحلصا من هذه الورقة بحيل عهدا ابتدأها ، سابقا . كتب بالخير . وذلك كما يبدو معقولاً أن هذا العهد قد طغى عليه في الأهمه عهد آخر . لاحق . حرر بالدم . والذي عودته إلى ماريازل ارتد هذا العهد الأول المزوم . وعندها تحرر حرفا من الشيطان . لكنه فعل في الوقت نفسه شيئا آخر .

فالشئ المؤكد أنه في أثناء هذه الإقامة الثانية في ماريازل اجر الرسوم ؛ فصحة العنوان . الموسومة دفعه واحدة . تشمل على تمثيل مشهدي العهد . ومن الممكن أن يكون الرسام قد عانى حرجا سديدا في محاولته الوفيقي بين تصريحاته الجديدة والسابقة . ولقد كان من سوء حظه أنه ما وسعه أن يتخيل سوى عهد سبق لا عهد لاحق . فبذلك ما عاد يمكن رسمه أن يحول دون حصول الإشكال المرح : استرداده في وقت مبكر أكثر ممسا يسعى أحد العهدين . العهد المكروب بحروف من دم وفي السنة الثامنة . واسترداده الثاني . المحرر بحروف سود . في وقت متأخر أكثر مما ينبغي وفي السنة العاشرة . وتمتة قرنته نشأ عن تحريره على دفتين ؛ عهد أخط في ربيع العهدين وحمل ربيع العهد الآخر في سنة ١٦٦٩ . وهذا الخط مدون بمرآحه غير معصودة . وهو يسبق لنا أن نخرج أن العهد السابق المزوم جعل استخذه لاجل بعد . وبه نرى اسم المسيح ماضي . وهو الذي لم يطلع على الموضوع إلا في سنة ١٧١٤ . بل ربما في سنة ١٧٢٩ . من أن يبدل مصدره لواراة هذه الأساطير بمصدر الأمكان . على ما تأم أهمية . وبما أن العهدين الذين كنا أمامه كانا يحملان كلاهما تاريخ ١٦٦٩ . فقد حاول التملص من الورقة عن طريق محاولة التفسير المتنافسه التي أدرجها في شهادته رئيس الدبر .

وسير على القاريء أن يدرك أن وجه الضعف في أعادتنا

المغرية هذه لمجربات العصة . فذكر العديدين . اللذين واحدهما بالاسود وثانيهما بالدم الاحمر ، قد ورد في شهادة رئيس الدير فرانسيسكوس . ومن ثم كان لي ان اخار بين واحد بين اثنين: إما الافتراض -ب- التاسخ قد اجري تعديلا ما في هذه الشهادة . وهذا بالاتساق الوثيق مع مسعاه النديسي . وإما الاعتراف بأنني سست اهلا للاهداء الى خيط الحقيقة في هذه البلبلة (٤٢) .

٤٣ - يدخل الى ان التاسخ وجد نفسه محصورا بين نقطتين ثابتتين .

فمن جهة اولي وجد رساله التوسية الصادرة عن الجوري وشهادة رئيس الدير سبال كلفها على ان العهد اعلى في حال الاول . قد تب في سنة ١٦٦٨ : ومن ابعده السابق كان العهدان ، المحفوظ في محفوظات الدير . جدار كلاًهما يوضح ١٦٦٩ . وسما انه كان امام عبيده عهدان . فقد داخله ابعاد واسع بأن ثمة عهدين قد جرى تحريرهما . وليس به رد في شهادة رئيس الدير . قد عرس ان . الا العهد واحد . فقد وجد التاسخ منه مرعفا على ان العهدان . شهداء ذكر العهد الثاني ، ونظما من التفاصيل اعرض ان هذا الاخير قد سبق تاريخه . والدم الذي احده في الخي ياتي مباشرة بعد الاساقفة التي ما كان لاحد سواء ان يذهب على النص . وتعدا وحده نفسه مكرها على ان يجمع جاره النص وبين التديل الذي احراره فيه . لان الرسام كان قد تب حرج التصادم بين السرج المرافق «صورة» والذي لحق به تلفا شديدا :

قد سمع واحدة . .

عرس شهداء سدد . .

الصورة رقم ٢ ، واسطر . .

التي التوقيع بالدم . . .

والصفا من اوكية رسامه حل بعد العهدان ، والذي عرس على الخيتم هذه المحاولات التفسيرية ، لا يبدو لي ان يراه انهم من بعدهم .

ولا ريب في ان كل هذه المناقشة قد بدت للعريء منذ زمن غير يسير فائضة عن الحاجة ، مثلما بدت له التفاصيل المدروسة واهنة الفائدة . لكن الامر يتلبس اهمية جديدة عندما نتابعه في اتجاه معين .

قلت توأ ، بصدد الرسام ، انه بخيل ، وقد باعته مسمار مرضه بما يكره ، عهدا سابقا (العهد المكتوب بالحبر) ليتمكن من تبرير موقفه لدى رهبان ماريازل . والحال انني اكتب برسم قراء لا يؤمنون بإبليس ، وان كانوا يؤمنون بالتحليل النفسي ، ومن ثم فانهم قد ينكرون عليّ سخافة توجيه مثل هذا اللوم الى ذلك الرسام المسكين الذي تنفته رسالة اتوصية اصلا بـ «الرجس البائس» . فالعهد المكتوب بالدم كان ولا بد حياليا ، مثله مثل العهد السابق المزعم المكتوب بالحبر . وواقع الحال انه لم يظهر له اي شيطان ، وكل العهد مع ابليس لم يكن له من وجود الا في مخيلته . وأنا اوافق على ذلك ، وليس لاحد ان ينكر على ذلك المسكين الحق في تكملة استيهامه ابديني بأخر لاحق ، متى ما بدا ان الظروف المستجدة تستوجب ذلك .

لكن هنا ايضا لا بد لنا ان نرى الى ابعد . فالعهدان ليسا بالفعل من استيهامه نظير رؤى الشيطان ، بل كانا وثيقتين محفوظتين ، بحسب تأكيد التاسخ ، وبحسب شهادته رئيس الدير كيليان لاحقا ، في محفوظات ماريازل . وكان بوسع جميع الناس رؤيتهما ولمسهما . يواجها اذن هنا إحراج . فإما ان نسلّم بأن الرسام اخلق بنفسه في الوقت المرام ، وعند احتياجه اليهما ، الصكين اللذين اعيدا اليه على ما قيل لنا شفاعته ربانية، وإما ان نعتبر السادة رهبان ماريازل وسان لامير غير أهمل للتصديق رغم كل التوكيدات الرسمية وشهادات الشهود المختومة بالأختام ، الخ . واني لاقرب بانه ما كان لي الا بمشفه وعسر ان اشتبه في الرهبان . صحيح انني اميل الى التسليم بأن التاسخ اجري بعض التزوير في شهادة رئيس الدير الاول حوصا

منه على توافق النصوص ، لكن هذا «العمل الانشائي الثاني» لا يمدد حدود الفعال المشابهة للمؤرخين المحدثين والعلمانيين ، وقد فعل على كل حال عن خصوصية . ولقد استهزل اربهان في ظروف اخرى حقاً مبرراً في ان نمحضهم نعتنا . وقد اسلعت القول انه ما كان نمة ما يسمهم من حذف الروايات المتعلقة بالشعاع غير الكامل وبمواصله الشيطان تجاربه . كذلك فبان وصف مشهد التعزيم في المزار ، الذي كان من الممكن ان نخوف من السطط فيه . مروي ببساطة واعدال وبظهر من الحق . لذا لا يبقى امامنا الا ان نوجه اصبع الاتهام الى الرسام . فقد كان هذا الاحير يحمل معه ولا بد العهد المكتوب بحروب حمر حين قصد المرار لأداء فعل توبته فيه . وقد ابرره حين ارند نحو السبود من الرهبان بعد لفائه بإيليس . وما من ضرورة تعفي ايضا بأن يكون هذا الصك هو عينه الذي جرى الاحتفاظ به لاحقاً في المحفوظات؛ وبحسب اعادة بئنا للقصة فان هذا الصك الاول كان يمكن ان يكون حاملاً لتاريخ ١٦٦٨ (قبل تسع سنوات من مشهد التعزيم).

- ٥ -

العصاب اللاحق

لكن كل ما تقدم ان يعدو في هذه الحال ان يكون ضرباً من الفس ، لا من العصاب ، كما لن يعدو الرسام ان يكون موزوراً ومظاهراً . لا ممسوساً ؛ بيد ان الحدود بين العصاب والمظاهرة كما هو معلوم . غائبة . وانا لا اجد اي صعوبة ايضا في التسليم بان الرسام كتب وحمل ذلك الصك ، والوثائق التي تلت ، وهو في حالة خاصة شبيهة بحالة رؤاه . وبالفعل ، ما كان له ان يسلك

غير هذا المسلك اذا شاء ان يجعل لتخليسه العهد مع الشيطان ثم الخلاص منه اساساً من الواقع .

وبالمقابل ، فان اليوميات التي حررها في فيينا ، والسبي سلمها للرهبان عند نزوله للمرة الثانية في ماربازل ، تحمل طابع الصدق والحقيقة . وتنبع لنا هذه الوثيقة ان تلقى نظرة عميقة وناقذة على حافز العصاب ، او بتعبير ادق على تثيره واستغلاله . تمتد التعليقات من زمن التعزيم الذي حقق هدفه الى يوم ١٥ كانون الثاني من السنة التالية ١٦٧٨ . وحتى الحادي عشر من تشرين الاول عاش الرسام بأحسن حال في فيينا ، حيث اقام لدى اخت متزوجة ، ولكن منذئذ عاودته ثانياً حالات مرضية جديدة ، واكتبها رؤى وتشنجات وإغماءات واحساسات مؤلمة ، ممياً اوجب عودته الى ماربازل في ايار ١٦٧٨ .

ينقسم هذا السرد الجديد لآلامه الى ثلاث مراحل . ففقد نجحت له انتجربة اولاً في شكل فارس حسن اللبس حاول اقناعه بان يرمي الصك الذي يشهد على قبوله في رهبانية اخوة سان دوزير . وازاء المقاومة التي ابداها عاود الشبح نفسه ظهوره في اليوم التالي ، لكن هذه المرة في قاعة رائعة الزخرفة تفصص بالرافصين من النبلاء وجميلات النساء . وعرض عليه نفس الفارس الذي كان قد حاول تجربته مقترحات ذات صلة بالرسم (٤٤) ووعدته بالمقابل بمبلغ كبير من المال . وبعد ان افلح ، بتلاوته الصلوات ، في تهديد هذه الرؤيا ، تجددت بعد بضعة ايام في شكل أشد تأثيراً ايضا . فقد بعث اليه الفارس هذه المرة بواحدة من اجمل النساء ممن كن جالسات الى مائدة الوليمة ، لكي تصطحبه معها الى معشر الطبقة الراقية ، وكان عليه ان يجاهد نفسه حتى يتقي شر اغرائها . لكن الرؤيا التالية كانت أشد وقعا

٤٤ - لم اتمكن من فهم هذا المقطع .

في النفس ايضا . وكان المشهد في قاعة اعظم فخامة « ينتصب فيها عرش من الذهب » . وكان يصطف حول العرش فرسان ينتظرون قدوم ملكهم . واقترب الشخص عينه الذي كان اولاه عنايته في اكثر المرات السابقة ودعاه الى ارتقاء العرش لانهم « يريدون ان يتخذوه ملكا عليهم وأن يجعلوا قدره الى ابد الابدن » . وبهذا التوسيع للاستيهام ينتهي هذا الطور الاول والعظيم الشاعفة من قصة التجربة .

وكان لا بد ان يعقب ذلك رد فعل . فاذا بكعة الزهد والورع ترجع . ففي العشرين من تشرين الاول ظهرت للرسم حالة عظيمة ، وخرج منها صوت زعم انه صوت المسيح . وحثه على العروف عن العالم وعلى نذر نفسه لخدمة الرب في الصحراء لست سنوات . وقد عانى على ما هو باد للعيان من هذه الرؤى القدسية اكثر بكثير مما عانى من الرؤى الشيطانية التي سبقتها . ولم يفق من هذه النوبة الا بعد مرور ساعتين ونصف ساعة . وفي الرؤيا السالفة ابدى الشخص القديس ، المحاط بهالة ، قدرا اقل من الرفق والحسن . وتوعد ارسام وهذه لانه لم يجعل المعرض الالهى ، واقتاده الى الجحيم ليثبت الخوف في قلبه بمرأى مال الملوعين . والظاهر ان التهديد لم يجعل قتيلاً ، لان ظهر سورات الشخص المشع ، والمفروض فيه انه هو المسيح . تكررت وتسببت له في غيبوبات وانخطافات تدوم واحدها عدة ساعات . وفي اعظم هذه الانخطافات اقتاد الشخص البهي الطلعة الرسام فسي باذى الامر الى مدينة يتعاطى الناس في شوارعها جميع افعال الجهالة والخلالة ، ثم اقتاده بعد ذلك ، وعلى سبيل التضاد ، الى مرج جميل يحيا فيه النساك حياة ورة ويتلقون شهادات ملموسة على نعمة الله وعنايته الربانية . وتظهر بعد ذلك ، وبدلا من المسيح ، الام القدسة بنفسها تحت المريض . باسم العون الذي بذلته له اتقا ، على الانصياع لطلب ابنها الحبيب . ولما لم

يبرم امره كما ينبغي» عاود المسيح ظهوره في اليوم التالي والحف عليه الحافا شديدا ، قازنا الوعد بالوعيد . وفي النهاية رضى . وعزم على هجران العالم ، وعلى فعل ما هو منتظر منه . ووضع هذا القرار حدا للطور الثاني . ولاحظ الرسام ابتداء من تلك اللحظة انه لم يعد عرضة للرؤى والتجارب .

غير ان هذا القرار لم يكن حازما جدا على ما يظهر ، او انه ارجأ تنفيذه اكثر مما ينبغي ، اذ فيما كان الرسام يصلي ويتجهد في كنيسة سان اتيين ، في السادس والعشرين من كانون الاول ، وقع نظره على امرأة صبية مشقة القد تسير برقعة نبيل جميل اللبس ، فما استطاع ان يرد عنه فكرة انه كان يوسعه ان يكون محل هذا النبيل . وكان هذا الخاطر يستوجب العقاب ، فاذا به ، في مساء اليوم نفسه ، وكان صاعقة قد صعقته ؛ فرأى نفسه محاصرا بالسنة النار وغاب عن الوجود . وبذلت جهود مضنية لارجاعه الى الوعي ، لكنه ظل يتدحرج فوق ارض الغرفة الى ان تدفق الدم من انفه وفمه ، واحس بأنه يسبح في العرق والاقدار ، وسمع صوتا ينبئه بأن هذه الحالة قد حلت به عقابا له على افكاره الباطلة والعابثة . وفي وقت لاحق ساطت الارواح الشريسة بالحيال ، واندرته بأنه سيلقى يوميا نظير هذا العذاب ، الى ان يقر قراره على الانتساب الى رهبانية نسيكية . وقد دامت هذه الاحداث الى يوم ١٣ كانون الثاني ، وهو التاريخ الذي تقف عنده اليوميات .

واضح للعيان اذن كيف ان الاستيهامات الاغرائية لسدى رسامنا اليائس تحولت اولا الى استيهامات رهدية ، ثم الى استيهامات عقابية . ونحن نعرف مقدما نهاية قصة عذاباته . فقد قصد في شهر ايار ماريبال حيث اعترف بأنه عقد عهدا سابقا ، محررا بالخير الاسود ، واعرب عن اعتقاده بأن هذا العهد هو مصدر العذابات الجديدة التي ينزلها به ابليس . وكان له ما اراد : فقد أعيد اليه العهد وكسب له الشفاء .

وفي أثناء إقامته اشبه هذه في ماريازل رسم الصور
المسوخة في **التذكار** . وفعل في الوقت نفسه شيئا يمتشى
ومنتظبات الطور الزهدي من يومياته . فبدلاً من ان يعصده
الصحراء ليتنسك . انتسب الى رهبانية اخوة الرافعة :
Religiosus Factus Est (٥٥) .

نتيج لنا مطالعة الوميات ان نفهم جانباً جديداً في كل هذه
القصة . فنحن نذكر ولا رب ان الرسام نذر نفسه للشيطان لانه
شق عليه غداة وفاة والده - وقد اخذ منه التبرم كل ماخذ ويات
عاجزاً عن العمل - ان يتدبر امر معاشه . والحال ان هذه العوامل،
من هبوط وكف عن العمل وحداد على الاب ، مترابطة بعضها
ببعض بكيفية ما ، بسيطة او معقدة . وامل الشيطان ما ظهر له
تكراراً وهو محبو بالانداء الكبيرة الا لانه كان يفترض بإبليس ان
يعدو اباه المريض . بيد ان هذا الامل لم يتحقق ، وظل الفضل في
كل شيء حليفه ، وما امكنه ان يعمل كما ينبغي او لعل الحظ لم
يحالفه ولم يلق عملاً بكفيه اوده . ورسالة التوصية الصادرة عن
الخورى تقول عنه : «رجل بائس ليس له من معين» . وعليه ، لم
يكن الرسام في حال من العوز المعنوي فحسب ، بل كان يعاني
ايضاً العوز المادي . ونلقى في ثنايا قصة رؤاه الاخيرة ملاحظات
تدل ، مثلها مثل مضمون المشاهد التي يشاهدها ، على انه لم
يتغير شيء رغم نجاح التعزيم الاول . نحن اذن امام رجل لا يفلح
في شيء ، ولهذا السبب لا يحضه احد ثقته . ففي الرؤية الاولى
يساله الفارس عما سيفعله ، ما دام احد لا يهتم به : «ما دام
الجميع قد تخلوا عني ، فما يوسعي ان افعله ؟» . والمجموعة
الاولى من الرؤى في فيينا تتفق تماماً مع الاستيهامات الرغبة

لإنسان فقير ، جائع الى اللذات والمباهج . بائس : قاعاب عظيمة ،
أطايب من الطعام ، آتية من فضة ، نساء جمالات ، وهنا تحديداً
يلتقي ما كنا افقدناه حتى الان في العلاقات مع الشيطان .
فويلد كانت تسيطر على المريض سويداء تحول بينه وبين اية
متعة وتفسره على رفض اشد العروض اغراء . ويبدو ان هذه
السويداء قد امكن التعلب عليها بعد التعزيم ، فدبت الحباة من
جذد في جميع المطاعم والشهوات الدنيوية .

في واحدة من الرؤى الزهدية يتشكى الشخص الذي يأخذ
بيده (المسيح) من ان احدا لا يريد ان يصدق ، مما يمنعه من
تفيل ما يؤمر به . ول سوء الحظ ان الجواب الذي يلقاه يبقى
مستغلقاً فهمه علينا . «لا احد يريد تصديقي ، لكن ما حدث أعلمه
حق العلم ، غير انه يتعذر عليّ انا نفسي الانصاح عنه» . وتضيء
القصة بعد ذلك بضوء باهر حينما يفسده دليله الانهي الى مقام
النسك : اذ يصل الى مقبرة يقيم فيها شيخ طاعن في السن منذ
ستين سنة ، ويعلم من الاجوبة التي يلقاها عن اسئلته ان هذا
الشيخ تطعمه يومياً ملائكة الرب . ثم يرى بام عينه ملاكاً يحمل
القوت للشيخ : «ثلاث قصعات من الطعام وخبز وقطعة لحم
وشراب» . وبعد ان يأكل الناسك حتى الشبع ، يجمع الملاك بقايا
الطعام ويذهب بها . وسهل علينا ان نذكر ما الاغراءات التي يمكن
ان تقدمها هذه الرؤى التقوية : ففاعبتها المحتملة ان تحمل
المريض على اختيار طراز في العيش لا يعاني فيه هموم الماكل .
وجديرة بالملاحظة ايضاً كلمات المسيح في آخر الرؤى . فعند
تهديده اباه بانه اذا لم يمثل فسيتبع شيء رغمه . هو وسائر
الناس ، على الايمان ، ينقل الرسام كلمات المسيح : «لس لي ان
أهتم للناس ، فحني او اضطهدوني او لم اقلق منهم اي عون ،
فليس يخجلي الله عني» .

الرسام لم يرش وان جالسه كهل سنة .
له فلا يعرف عن علمه الحياثه هذا . ندر انه ومن .

٥٥ - باللاتينية في النص : «صار راهباً» .

خاتمة المطاف بسبب ما كان فيه من إملاق . انتسب الى رهبانية،
وانتهى بذلك صراعه الداخلي وثوَّسه المادي على حد سواء .
ونعكس هذه النهاية في عصابه من حيث ان استعادته الصلح
الاول المزعوم تحرره من نوبته ورؤاه . وفي الواقع ، كان لكلا
طوري مرضه الابليسي معنى واحد . اذ لم يكن له من طلب الا
تأمين معاشه ، المرة الاولى بمساعدة ابليس . وعلى حساب
خلاص نفسه . وفي المرة الثانية ، لما تخلى عنه ابليس ولم يكن
امامه مناص من العزوف عنه ، بمساعدة الكنية وبمصحف
بحرسه وبمعظم امكانيات المنه التي تقدمها الحياة . ولعسل
كر . هبتر من كان ببساطه رجلا مسكينا سيء الطالع . ولعله كان
أخرق أو غير كفؤ لتدبر امر نفسه ، ينتمي الى ذلك النمط من
النس المعروفين باسم «الرضاء الدائمين» الذين لا يسعهم ان
يخرجوا بانفسهم من اوضاع السعيد الذي كانوا يرتعون به في
حضان الام ، والذين يفضون حياتهم بكاملها وهم يبحثون عن
يطعمهم وبقيتهم . وهكذا تلفاه في قصة مرضه هذه ينطلق من
الاب ليهود ادراجيه ، مروراً بالشيطان ، بدليل الاب . الى الابداء
المقدس .

قد يبدو هذا العصاب . عند الملاحظة السطحية . وكأنه
اجبولة من احابيل الشديدة التي يحفل بها جانب بكامله من
سراع احطير . لكن المادي . في سبيل الحياة . وقد لا يكون
لذلك هو واقع الحال على الدوام . ولكنه كثير التواتر على كسل
حس . وكثيراً ما يخبر المظلون بالتجربة كم يشق عليهم ان
هالجوا تاحراً «بدأت تظهر عليه منذ بعض الوقت . بارغم مما
هو عليه من صحة جيدة ، اعراض عصاب ما» . فالكارثة التي
يرفض التحدث بانها تتبدده في تجارته تكون من نتائجها الشلو .
شاء ذلك اعصاب ، مما يتيح للمريض الامكانية لإحفاء همومه
العاشية العملية خلف ستار اعراضه المرضية . وهذا على كسل
حال حل غير مناسب بالمرة ، لان العصاب يمتص قوى كان يمكن

استخدامها على نحو ائفع واجدى في مواجهه الوسع المحفوف
بالمخاطر مواجهه مبصرة .

وفي احوال اخرى اكثر تواتراً بما لا يحاس يكون العصاب اكثر
انفزالاً واستقلالاً عن هموم الحياة والبقاء . فالنزاع . الذي عنه
ينشأ العصاب . يكون موضوعه إما اهتمامات ليبيدويه خلصة .
وأما اهتمامات ليبيدوية مقرونة على نحو وثيق للغاية بهموم الحياة
والبقاء . لكن ديناميية العصاب في الحالات الثلاث واحدة .
فالليبدو المتراكم . الذي لا يسعه ان يجد سبيله الى الاشباع في
الواقع . يشق لنفسه ، بواسطة الكفوس ، طريقاً نحو تشبثات
قديمة عبر الاشعور المكبوت . وما دام الانا يجني فائدة ما من
المرض . فانه يسمح للعصاب بالوجود . وان يكن الضرر الاقتصادي
الذي يلحق بهذا الانا اكيدا لا رب فيه .

كذلك . ما كان للوضع المادي المحزن لرسامنا ان يستثير لديه
عصاباً شيطانياً لو لم يولد لديه بؤسه حيناً معزراً الى ابيه . ولما
فحص له ان يحرر من سويدانه ومن الجبس ، نشب فيه صراع
جديد بين الرغبة الليبيدوية في التمتع بالحياة وبين احساسه
بان تدبر امر معاشه يقضي . به بشد الانحاح العزوف والزهد .
وقد شعر الرسام — ومن المبد ان نلاحظ ذلك — شعوراً عميقاً
بازوائط الى ربطه من كلا موري تاريخ الامة . لانه يعزو كلا
منهما الى حلف عقده مع انه قد . وهو لا يميز على كل حال
بمعزاً فضلاً عن تدبر الزوج . تدبر رديعوى الالهة ؛ وليس
لديه كنهها سوى اسم واحد تدبر راسه شيطانية .

«العصاب الوسواسي» على الداء الذي تشكو منه (١٢) . لكن لا يجوز لنا ان نحارب ان يسبق الطابع الاماسي لهذا الداء من اسمه . لانه برحد . يحترق المعنى . ظاهرات نفسه مرضية اخرى قاله لان تلبس ما نسميه بـ «الطابع التسليطي» . ولا يزال من الضروري في الوقت اراه ان يقوم معرفة معضلة بهذه التحاليل محض التعريف . على اعتبار اننا لم نصل حتى الان في استخلاص معيار العصاب الوسواسي . وهو معيار كامن فسي ارجح الظن تحت طبقات بعيدة القور وان يكن بالامكان استشفاف وجوده في جميع تظاهرات ذلك الداء .

ان قوام الطغس العصابي افعال صغيرة : افعال مضافة او معاقبة او ترتيبات تؤدي . على جميعها افعال الحياة اليومية . بطريقة واحدة على الدوام او بكيهه تتنوع طبقا لمواعيد محددة . وترك هذه النشاطات فينا انطبعا بأنها محض «شكليات» ؛ وتبدو لنا عارية من المعنى تماما . وهي لا تظهر بظهور آخر للعريض ، ومع ذلك يعجز عن عدم الفهم بها . لان كن حذر عن الطغس بعاقب يحترق Angoisse لا يطاق . يرغم المهمل على ان يفعل من جديد وبعد فوات الاوان ما كان اغفل فعله . ولا تقبل تعاقبة عن الافعال الطففسية المناسبة وضروب النشاطات التي نكتفها الطففسة فزجر تعيدها . علاوة على انها تجعله اكثر صعوبة : وعلى سبيل المثال فعل ارتداء الثياب وخلعها ، فعل الرقود . فعل اشباع الحاجات الجسمانية ، الخ . ولعله يسعنا ان نصف الكيفية التي يمارس بها الطغس فيما لو استبدلناه ، نوعا ما . مجموعة من فواير غير مكنونه . ممثلا . وفيما يحض طغس السرير : ينبغي ان يكون الكرسي في وضع معين امام

الإفعال التسايطية والشعائر الدينية (١)

لست بالتاكيد اول من استمرى انتباهه التشابه القائم بين افعال العصبيين التسايطية وبين الشعائر التي يدلل بها المؤمن على وعيه وتمواه . وصفة «الطفسي» التي تطلق على بعض هذه الافعال التسايطية هي خير شاهد على ما اقول . بيد ان هذا التشابه يبدو لي اكثر من محض تشابه سطحي حتى ليجوز للمرء ان يستخلص ، بطرسق المفاسه . من فهم معنى لمثا الطغس العصابي استنتاجات تتعلق بالسيرووات النفسية للحياة الدسه . ينتمي اناس الذين يؤدون افعالا تساطيطية او طفسية : ومهمه من نعال افكارا تساطيطيه وتمثالات تساطيطيه وبوارع تساطيطيه . الخ ، الى فئة سريرة خاصة جرت العادة على اطلاق اسمها

٢ - انظر لوبنيليد : الظاهرات النفسية الوسواسية ، ١٩٠٤ .

السرر . وسعى في الاستفسار طرقة معينة . كما سعى ان يكون ماء السرر طررا في ارضه : ولا . ان يكون السرر مضمودا ولا ماء . ومن الواجب صف افعال طرسته او حزن . س لا يدان يكون اعلمه عنه في رصفه بتعدد دمه : لعند هذا يكون من حق امره ان يجد ان ادم . وفسى احوال انفسه تبدو انفس راحة معللا : عدم معرفته وتمرير . غير ان التوسيه سميرية اسي تؤدي به . وانحصر الذي سم عن الاخلال به . يصعبان على انفس طابع : فعل معدن . فمن ما هكره وشوسه لا تقبل بسماع : ومن الواجب ان يدور عن الجمهور . وفي غيبة الاشخاص الآخر .

ان جميع اشكال النشاط يمكن ان تبدو ، فعلا ، سلفه بوع معاني الكلمة . اذا ما اوقف بفعال صغير مضاهه وجعل لها ابعاد معين من اوقف وانتكرار . وليس لنا ان نتوقع العثور على حد فاصل واضح بين «الطفس» والافعال التسلطية» . فالافعال التسلطية تدني في اغلب الاحيان عن طفس ما . وبالف المرض . علاوة على هاتين الظاهرتين . من موانع ونواه اخصول الارادة . يس لها من دور في الواقع الا ان تباع وظيفة الافعال التسلطية . وذلك من حيث ان بعض الاشياء تحفز على المرض . بينما لا تسمح له ببعضها الا بشرط مراعاة طفس مقرر مسبقا . ومن المثير للفضول ان نرى الاجبار Compulsion والحظر اوجوب فعل شيء من الاشياء وانعدام الحق في فعل شيء آخر) على حد سواء لا يطلان في البداية سوى تشخيصات الناس الانفرادية ، ولا تتطرقان لاجل طويل من الزمن الى سلوكيات اجتماعي : وايضا يمكن لاشياء هؤلاء المرضى ان يحاخوا مرضه على انه مسئله خاصه وان يحفوه ويكتموه لئلا ينع عدد . وعلى كل . فان تمدد الاشخاص الذين يعانون اشباه هذه الاشكال من العضات الوسواسي اكثر بكثير مما حصل الى علم الاضاء . رد على ذلك ان الكثيرين من هؤلاء المرضى يجدون لهذا الكتمان طرفا

مساعدا في كونهم يفلحون في اداء واجباتهم على خير وجه في نظر من النهار بعد ان يكونوا قد كرسوا عددا معينا من اوقات لغياتهم السرية في خبوة عن سائر الناس .

وسر علنا ان نذكر ان كمن وجه التمسسه من انفس العصاي ومن اشعار الدينية ذات الصفة المقدسة : في احوال المثيق عن الضمير في حال الاهمال . وفي الاحزاب امام سائر النشاطات (الارعاج ممنوع) . وفي الطابع المديسق والموسوس للتنفيذ . لكن الفروق ايضا بئنة . وبعضها صارح الى حد تبدو معه هذه المشابهة ضربا من انتهاك القدسات : النوع العظيم للافعال التسلطية بالتعارض مع بطيئة الطفس الديني (الصلاة . السجود . الخ) : والطابع الخاص للاولى بالتعارض مع الطابع العام والجماعي للشعائر الدينية : وعلى الاخص الفارق المتمثل في ان افعال الطفس الديني الصغير تكون ذات مغزى وقصد رمزي . بينما تبدو افعال انفس العصاي سدوجه وعاربه من المعنى . ويظهر العصاب الوسواسي ها وكذا صور كركابيه سسبه هازله وشبه موسية لدانة فردية خاصة . بيد ان هذا الفارق الحاد بين الطفس العصاي والطفس الديني هو بالتحديد الذي يتلاشى حينما نمضي قدما الى الامام في فهم الافعال التسلطية بالاعتماد على تقنية التنقيب التحليلي النفسي (٢) . فهذا التنقيب يتيح لنا ان نضع حدا نهائيا للظاهر الذي يجعلنا نتصور ان الافعال التسلطية بريئة وعاربه من المعنى . كما انه يبيط اللثام عن الصدر الذي يأتي منه هذا الظاهر . وهكذا نتمرس على ان نذكر ان الافعال التسلطية : جميعها لا استثناء وبجميع تفاصيلها ،

٣ - انظر س . فرويد : مجموعه دراسات مقببة حول نظرية الاعصبه .

نيسا ١٩٦٦ ، الطمه الثالثه ١٩٢٠ .

مترعة بالمعنى ، وانها تخدم اهتمامات اثرة لدى الشخص المعنى .
وانها تعبر عن أحداث ذات تأثير دائم وعن افكار مشحونة بوجدانية
المرء . وهي تحقق ذلك بطريقتين : بوصفها تمثيلا مباشرا او
بوصفها تمثيلا رمزيا ، فمن المناسب بالنالي تأويلها سرياً (٤)
او رمزياً .

لرام عليّ هنا ان اسوق بعض الامثلة في تأييد هذه
الاطروحة . ومن ألف النتائج التي يتمخض عنها التعميق التحليلي
النفسي في الأعصبة النفسية ، فلن يدعشه ان يعلم ان ما تمثله
الافعال السلطانية او الطفلية تنبع من حياة المريض الحميمة ،
بله الجنسية .

أ - درست مرة حالة فتاة كانت تجد نفسها مدفوعة ، بعد
كل اغتسال . الى تدوير الطشت في مكانه . وكان مدلول هذا
العمل الطقسي يكمن في القول المنور : « لا ترم الماء الوسخ قبل
تأمين ماء نظيف عوضاً عنه » .

وكان الهدف من هذا العمل تحذير اختها ، التي كانت تحبها
حسباً ، ومنعها من تطبيق زوجها الذي لم تكن مناسبة لها كثيراً
قبل ان تتعرف الى آخر يفضلها .

ب - كانت امرأة تعيش منفصلة عن زوجها ، وكانت تجد
نفسها مدفوعة ، أثناء تناول وجبات الطعام ، الى ان تدع جانباً
خير القطع . فلا تاكل على سبيل المثال سوى حوافي شريحة اللحم
المشوي . وتفسر هذا الاستكاف يرتبط باليوم الذي رأى فيه
النور . فقد تظاهر لأول مرة يوم صارت زوجها بأنها ستمتنع
مذذاك فصاعداً عن العلاقات الزوجية . اي يوم استنكتت عن
خير ما في الزواج .

ج - كانت المريضة نفسها لا تستطيع في الواقع ان تجلس الا

٤ - نسبة الى السيرة او ترجمة الحياة . -م-

على كرسي واحد ، وما كانت تقوم عنه الا بعسر ومشقة . وكان
الكرسي ، بحسب بعض تفاصيل حياتها الزوجية ، يرمز فسي
نظرها الى زوجها الذي بقيت مقيمة على وفائها له . وكانت تفسر
بالعبارة التالية إجبارها هذا : « من الصعوبة بمكان الانفصال (عن
رجل ، عن كرسي) بعد جلوسي عليه لأول مرة » .

د - اعتادت لحن من الزمن لحظ تكرر فعلاً تسلطياً غريباً
ولامعولاً في الظاهر . فقد كانت تجري من غرفتها الى غرفة أخرى
كان في وسطها طاولة ، وكانت ترتب على نحو معين البساط
المفروش فوق الطاولة ، وتقرع الجرس للخادمة وتأمرها بالاقتراب
من الطاولة ، ثم تصرفها بامر مغاير . وفي اثناء الجهود التسي
بذلناها لتفسير إجبارها هذا ، استذكرت أن بساط الطاولة
المذكورة ملطخ ببقعة كريهة اللون ، وانها لا ترتب البساط على
النحو الذي ترتبه به الا ليقع نظر الخادمة على البقعة . وكان
المشهد كله في الحقيقة تكررأ لحدث يتعلق بزواجها ، حدث طرح
فيما بعد على عقلها معضلة تستوجب حلاً . ففي ليلة عرسهما
وقع زوجها ضحية حظ عائلي ليس بنادر حدوثه . فقد وجد
نفسه مضايماً ببنة و«ركض عدة مرات في تلك الليلة من غرفته الى
غرفتها» ليكرر المحاولة . وفي صباحة اليوم التالي قال انه
سيشعر بالخجل ، ولا بد ، امام خادمة الفندق التي ستقسم
ترتيب الأسرة ؛ وعلى الاثر تناول قارورة من الحبر الاحمر وصب
محتواها فوق الشرف ، ولكنه فعل ذلك بخرق جعل البقعة
الحمراء تنتشر في مكان ليس وثيق الصلة بما رمى اليه . وهكذا
صارت تعيد ، بذلك الفعل السلطاني ، تمثيل مشهد ليلة عرسهما .
وبالفعل ، ان « الطاولة والفرش » هما الشيطان اللذان عليهما
بعقد الزواج .

هـ - هذه المريضة عينها كانت تبدي ميلاً لا يقاوم الى تسجيل
رقم كل ورقة نقدية قبل ان تخرج من بين يديها ؛ والحال ان

هذا الإجبار كان بدوره قبلاً للتفسير بسيرة حياتها . ويوم كنت لا تزال تداعب فكرة هجر زوجي في حال عثوري . سي رجل أجدر منه نفعاً ، سمحت لرجل في أحد منسجعات اليه المعدنية بأن عابرها رغم أنها كانت تشك في جد نيته . وذات مرة احتاجت إلى قطع ثياب صيفية ، فرجته أن يصرف لها قطعة نقدية من ذوات الخمسة الكورونات . ففعل ذلك ، ووضع القطعة النقدية الكبيرة في جيبه . وقال برقه حامية أنها لن تفارقه بعد اليوم لأنها مرت بين يديها . وفي لقاءات تالية عن لها غير مرة أن تسأله أن يربها قطعة الخمسة الكورونات ، لتتأكد بنوع ما من مدى صداقية غزله . لكنها أمسكت عن ذلك لسبب بسيط ، وهو أنه كان سيسجل عليها أن تمير قطعة معدة من أخرى متساويتين في القيمة . وعلى هذا فإن الشك لم يتبدد قط ، بل خلف وراءه ميلا إجباريا إلى تسجيل أرقام الأوراق النقدية ، هذه الأرقام التي يفضلها تمييز كل ورقة فرديا عن سائر الأوراق المعادلة لها في القيمة .

هذه الأمثلة القليلة . المعتبسة من معين معابثاتي الواسع ، ثم أسفها إلا تمثيلا على الأطروحة القائلة أن كل شيء في الأفعال السلطوية ثمر بالمعنى وصالح للتأويل . وكذلك الحال فيما يتعلق بالطقس بحصر المعنى ، غير أن البرهان على ذلك سيتطلب عرضا أكثر تفصيلا . ثم انني لا أجهل أننا قد ابتعدنا في ظاهر الأمر ، بانسغالنا بتوضيح فحوى الأفعال السلطوية ، عن دائرة التفكير الدينية .

إن من شروط الحالة المرضية أن يفعل الشخص الخاضع لإجبار ما يفعله من دون أن يعرف مدلوله . وعلى الأقل مدلوله الرئيسي . وجهود المعالجة التحليلية النفسية هي وحدها التي يمكن أن تجعله يعي معنى الفعل السلطوي ، وبالتالي الدوافع التي تحضه عنه . ونحن نعرف هذا الوصف الذي له خطورته سواء أأن الفعل السلطوي يفيد في الإبانة عن دوافع وتمثلات **لاواعية** .

ويبدو أنه يقوم هنا فارق جديد عن الشعائر الدينية . لكن لا بد لنا أن نذكر أن الشخص الورع المفرد يمارس بوجه العموم أطقس الدننى من دون أن يتساءل عن معناها . بينما يسع الكاهن والمحلل أن يعرفا معنى الطقس هذا - الذي غالبا ما يكون رمزيا . والدوافع التي تحض المؤمنين بإلحاح على ممارسة الشعائر الدينية تبقى مجهولة مع ذلك من قبلهم جميعا ، أو أنهم يمثلونها فسي وعيه في صورة دوافع أخرى تتقدم عليها وتحتل مكانها .

كان تحليل الأفعال السلطوية قد أتاح لنا أن نلقي نظرة على ابولوجيا (هـ) هذه الأفعال وعلى تسلسل الدوافع التي تحض عليها بصورة لا تقاوم . ويوسعنا أن نقول أن من يعاني ضروب الإجبار والنهي يتصرف وكأنه واقع تحت سلطان **احساس بالذنب** . لا يعرف عنه شيئا بالأصل ؛ احساس لاشعوري بالذنب ، كما يخلق بنا أن نقول من دون أن نأبه لما بين الإلغاط المقرون بينها على هذا النحو من تصادم . هذا الاحساس بالذنب يكمن مصدره في بعض السيورات النفسية المبكرة ، لكنه يجد عنصر إحياء دائم له في **الإغواء** الذي تجددته كل مناسبة راهنة . وهو يولد ، من جهة أخرى ، **حسرا مترقبا** ، انتظارا لمصيبة هي دوما بالمرصاد ، حصرا يربطه مفهوم **القصاص** بالادراك الباطني للإغواء . وحين ينزع طقس من الطقوس إلى التأسس والتكون ، يكون المريض لا يزال يدرك بوعيه أن عليه أن يفعل هذا الشيء ، أو ذاك ، وإلا فسيان معصية ما ستفزع ، ويوجه عام فإن نوع المصيبة المتوقعة لا يكون غالبا بعد عن وعيه . لكن العلاقة ، الممكن البرهان عليها في كل حالة ، بين المناسبة التي يبرز فيها الحصر المترقب وبين العنصر الوعيدي الذي تنطوي عليه تكون من البداية محجوبة عن ادراك

المرض . وهكذا يكون الطقس في بادئ الامر **فعلا دفاعيا** ، او **ناميئا** ضد شيء ما ، او **تديبرا وقتائيا** .

وتناظر احساس العصابي الوسواسي بالذنب تصریحات ووعاء الناس حين يؤكدون انهم يعرفون انهم في سريرتهم خطاة كبار ؛ ويبدو ان الممارسات التقوية (الصلوات ، الابتهاالات ، الخ) لها قيمة تدابير دفاعية ووقائية ، وهي تدابير يستبق بها الورداء كل نشاط من نشاطات النهار ، وعلى الاخص كل مشروع يخرج عن نطاق المألوف .

ومن الممكن ان نصل الى فهم اعظم لاولية العصاب الوسواسي فيما لو قدرنا بحق قدرها الواقعة الاولى الكامنة في اساسه والمتمثلة دوما في **كبت دافع غريزي** (مركب من مركبات الغريزة الجنسية) ؛ دافع غريزي متواجد من الاساس في جيلة الشخص الفضي ، وقد امكن له ان يتظاهر لبرهة من الزمن في حياته الطفلية ، ثم وقع بعد ذلك فريسة للكبت . ومع كبت هذه الغريزة تتولد في الوقت نفسه وسوسة ضمنية مفردة موجهة ضد اهداف هذه الغريزة . بيد ان هذا التشكيل الارتجاعسي النفسي لا تساوره الثقة بنفسه ، بل يحس بأنه مهدد باستمرار من قبل الغريزة الواقعة له بالرصاد في الاشعور . ويكسبون الاحساس بتأثير الغريزة المكبوتة في شكل تجربة وإغواء ، وفي اثناء سيرورة الكبت بالذات يولد الحصر الذي يستحوذ ، بصفته حصرا مترقيا ، على مضمار المستقبل . وسيرورة الكبت التي تفضي الى العصاب الوسواسي ينبغي ان تمتع بانها كبت غير مكتمل النجاح ، كبت يتدر بأن يضعف اكثر فاكثر . ومن هنا يجوز تشبيهه بنزاع لا نهاية له ؛ فالجهود النفسية المتجددة باستمرار ضرورة كما يقوم التوازن في مواجهة ضغوط الغريزة الدائمة . هكذا تولد الافعال الطقسية والتسلطية ، من جهة اولى ، ك مقاومة للتجربة والاغواء ، ومن الجهة الثانية كحماية من مصبة منتظرة . لكن سرعان ما يتضح ان افعال الحماية ضد

التجربة والإغواء ليست كافية ، فتظهر عندئذ الى حيز الوجود التواهي التي يفترض فيها ان تبعثنا عن الموقف الذي قد نعرض فيه للتجربة . وكما نرى ، فان التواهي تحل محل الافعال التسلطية ، مثلما ان هدف الرهاب Phobie تلافي حتميه نوبة هستيرية . ومن جهة اخرى ، يمثل الطقس جملة الشروط التي تبقى فيها اشياء اخرى - غير محرمة بمسد تحريما بانا - مسموحا بها ؛ تماما كما ان معنى طقس الزواج الدني السماع للشخص الورع بالتمتع الجنسية ، الملتطخة في غير هذه الحال بالخطيئة . ومن الصفات الاخرى للعصاب الوسواسي ، مثله مثل سائر الاصابات المعالة ، ان تظاهراته (اعراضه التي منها الافعال التسلطية) ، تمثل تسوية بين القوى النفسية المتصارعة . وهكذا تميط الاعراض اللثام من جديد عن قدر من اللذة التي يفترض فيها ان تحول دونها ، وتضع نفسها في خدمة الغريزة المكبوتة كما في خدمة السلطة الكابتة . بل ان الافعال التسلطية . التي كانت نفيذ في الاصل في الدفاع بالاحرى ، تفقد مشابهة اكثر فاكثر ، مع تقدم المرض ، للاعمال المدانة التي بها كانت تتظاهر الغريزة في الطفولة .

وبوسعنا ان نهتدي الى بعض اثر هذه العلاقات في مضمار الحياة الدينية : فقمع بعض الدوافع الغريزية ونكرانها يبدو انه الاساس الذي قام عليه الدين ايضا ؛ غير ان القومات هنا ليست جنسية خالصة كما في العصاب ، وانما هي غرائز انائية ، ضارة بالمجتمع ؛ علما بأن المساهمة الجنسية فيها ليست في اغلب الاحيان مستبعدة . ولقد اعتدنا ان نعزو الشعور بالذنب المتبقي عن إغواء لا تنطفئ جذوته ابدا ، والحصر المترقب في شكل خوف من القصاص الالهي ، اعتدنا ان نعزوهما الى مضمار الدين قبل ان نعزوهما الى مضمار العصاب . ويبقى قمع الغرائز في مضمار الحياة الدينية ناقصا وغير مكتمل ابدا ، ربما بسبب

العوماء الجنسية المختلطة بها ، وربما يحكم الصفات العامة للفريرة . بل ان الانتكاسات الشاملة والعودة الى ارتكاب الخطيئة اكثر توازنا لدى الشخص الورع مما لدى الشخص المصوب . وهي تشترط نوعا جديدا من النشاطات الدينية : افعال الندامة والتوبة التي لا يعصر علينا ان نجد نظائر لها في العصاب الوساوي .

لقد رأينا ان للعصاب الوساوي سمة خاصة ومنحطة تتمثل في ارتباط النفس بالافعال الصغيرة للحياة اليومية وتظاهرها في شكل تعليمات وتمييزات صيائية . وليس لنا ان نفهم هذه الخاصية اللافتة للنظر من خواص بنية اللوحة السريرية ما لم ندرك ان اولى **النقل** النفسي ، التي اكتشفتها اول الامر في تكوين الحلم . تسيطر على السيرورات النفسية للعصاب الوساوي . ولا يعصر علينا ان نرى ، من خلال الامثلة القليلة التي ضربتها على الافعال التسلطية : كيف ان رمزية تنفيذ الفعل وتفاصيل هذا التنفيذ تبني وفق اولى نقل مما هو اصيل وهام الى شيء حقير واستبدالي ، كالنقل على سبيل المثال من رجل الى كرسي . وهذا الميل الى النقل هو الذي يدخل المزيد من التعديل على الدوام على لوحة الظاهرات المرضية ، فيجعل من افته الاشياء اهمها واكثرها إلحاحا اخلاقا . وليس يستعسا ان نجاهل وجود ميل مشابه الى نقل القيمة النفسية في المضمار الديني ، وفي الحقيقة ضمن الاتجاه نفسه ، بحيث ان الممارسة الطقسية الثانوية الاهمية للشعائر الدينية تغدو شيئا فنيشا هي الاساسية بعد تنحية مضمونها التصوري جانباً . ولهذا تتعرض الاديان لهزات من الاصلاحات الرامية الى اعادة توطيد العلاقة الاصلية للقيم .

ان طابع التوبة الذي تتسم به الافعال التسلطية بصفتها اعراضا عضائية هو عينه الذي لا يميز الا بأقل الوضوح فسي الافعال الدينية المناظرة لها . ومع ذلك فان ثمة شيئا ما يذكركنا

بسمة العصاب هذه حينما نرى بام عيننا كيف ان جميع الافعال التي يشجها الدين - تظاهرات الفرائز المكبوة من قبل الدين - تفعل باسمه في كثير من الاحيان ولصالحه على ما يقال .

يحكم هذه التوافقات وهذه التشابهات ، قد يكون جائزا لنا ، على ما في ذلك من مجازفة ، ان تصور العصاب الوساوي على انه نظير مرضي لتشكل الاديان . وان نصف العصاب بأنه تدئين فردي ، والدين بأنه عصاب وسواسي عام . والنواق اجوهري يكمن من هذا المنظور في الاستنكاف عن ممارسة الفرائز الداخلة في تكوين الانسان وجليته ، كما يكمن الفارق الاساسي في طبيعة هذه الفرائز التي تكون في العصاب من اصل جنسي صرف ، وفي الدين من طبيعة اتوبة ايضا .

ان الاستنكاف التدرجي عن الفرائز المكونة لجيلية الانسان ، والتي قد توفر ممارستها لذة اولى للآنا ، هو على ما يبدو واحد من اسس تطور البشر الحضاري . وتتولى الاديان انجاز شطر من هذا الكبت للفرائز ، اذ تحض الفرد على التضحية بملذاته الفريرة وتقديمها قربانا للاله . يقول الرب : «لي النعمة والجزاء» (١) . ويدلنا تطور الاديان القديمة ، بحسب ما يتراءى لنا ، على ان الكثير من «الآثام» التي عرّف عنها الانسان قسدا «حوالت» الى الله ، وكانت لا تزال مباحة باسمه ، بحيث ان التنازل والتحويل للاله كان الوسيلة التي بها يتحرر الانسان من سلطان غرائزه الفريرة والضارة بالمجتمع . وعليه ، ليس من قبيل المصادفة ان تكون جميع الخصائص البشرية - مع ما يتفرع منها من اعمال شريرة - قد عزيت الى الالهة القديمة بغير ما حدود ، كما لم يكن ضربا من التناقض مع ذلك الا يؤذن للانسان بتبرير آثامه بالمثل الالهي .

فأما الكلمة فكانت **Vaterarsch** (٢) ؛ وأما الصورة التي كانت تصاحب هذه الكلمة فتمثل الأب في شكل القسم السفلي من جسم عابر ، محبو بفراعين وساقين ، وناقص منه الرأس والقسم العلوي من الجسم . وما كانت الاعضاء التناسلية بظاهرة ، بل كانت معالم الوجه مرسومة على البطن .

وإذا أردنا تفسير مثل هذا العرض النادر في لامقوليتهس وحلفه ، فلا بد أن نأخذ في اعتبارنا أن ذلك الفتى ، المكمّل أصلاً تطوره العقلي والمفعم أخلاقياً بصيوات سامية ، كان قد تعاطى حتى السنة العاشرة من عمره ممارسات أوروبية شرجية نشطة ومتعددة الأشكال . وبعد أن تغلب على هذا الطور ، ارتدت حياته الجنسية إلى ذلك الطور الأول بفعل الصراع اللاحق الذي خاض غماره ضد الأيروسية التناسلية . وكان يحب أباه ويجلته كثيراً ، وكان يخشاه أيضاً إلى حد ما . لكن أباه كان يبدو في مظهره ، وبالقياس إلى المثل الأعلى الذي جعل نصب عينيه أن يدركه : الزهد وقمع الفرائز ، ممثّل الشطط والشبق والنهم إلى المتع المادية .

وسرعان ما اتضح أن كلمة **Vaterarsch** هي ترجمة المانية مأكرة للقب «البطريق» (٣) النبيل ، وأن الصورة الوسواسية مستفاهة من رسم كاريكاتوري مشهور . وهذه الصورة تستحضر إلى ذهننا للحال تمثيلات أخرى تستبدل ، بقصد الأذلال والمهانة ، تمام الشخص بعضو واحد من أعضائه ؛ وعلى سبيل المثال عضوه

٢ - كلمة تعبر ترجمتها إلى العربية . ومعناها الأقرب : الاست الإوبة .

- ٢ -

٣ - البطريق **Patriarche** : لقب شوخ أسياط بني إسرائيل ، ولقب كبير الأشراف عند الرومان ، ولقب كبير الأساقفة عند المسيحيين الشرقيين ، وهي تعني اشتقاقاً الأب . -م-

موازيات ميتولوجية

لتمثلك وصور اسمي تشكيلي (١)

أن منتجات النشاط التفكيرى اللاهعوري لدى واحد مسن مرضاي - وهو في حوالي الحادية والعشرين من العمر - لا تتظاهر للوعي في شكل أفكار وسواسية فحسب ، بل أيضاً في شكل **صور وسواسية** . وقد تنبثق الأفكار والصور معا أو قد تظهر مستقلة بعضها عن بعض . ولدى هذا المريض كانت كلمة وسواسية بعينها وصورة وسواسية بعينها تترددان في خاطره بترايط وثيق لردح من الزمن كلما شاهد أباه يدلف إلى الغرفة .

١ - طهر هذا المقال لأول مرة في **الجلد الدوليّة للتحليل النفسي الطبّي** ، المجلد ٤ ، ١٩٦٦ . -م-

الناسي . او استيهامات لاشعوريه تفني الى نهاي الكائن
بنهايه بعضه التناسليه . او تعابير طريفة كقولنا : انا كني
أذن » .

لقد بدا لي رسم قسمات الوجه على بطن الصورة الكاريكاتورية
مستغربا جدا في بادئ الامر . لكن سرعان ما تذكرت ان ناظري
وقعا على شيء من هذا القبيل في الرسوم الكاريكاتورية
الفرنسية (٤) . ثم شئت المصادفة ان تقع تحت يدي صورة من
العصور القديمة تطابق بدقة صورة مريضى الوسواسية .

فبمقتضى الميولوجيا الاغريقية . قدمت ديميتريا (٥) الى
ابولوريس (٦) بحثا عن ابنتها المحطوفة . فاستقبلها ديزولس
وزوجته بوبو . لكنها عافت الطعام والشراب لشدة حزنها . فرفضت
عندئذ مضيقها بوبو طرف رداؤها فجأة وكشعت عن بطنها .
وارغمتها بذلك على الضحك . ومناقشه هذه النادرة ، التي
يفترض فيها في ارجح الظن ان تقدم تعسيرا لطفس سحري لم
بعد اليوم مفهوما ، موجودة في المجلد الرابع من كتاب سالومون
ريناخ : **العبادات والاساطير والاديان** (١٩١٢) . وقد جاء في هذا
الكتاب ايضا انه اكتشف في حفريات بربيتا (٧) ، في آسييا

- ٤ - انظر : « البيون اللاحشمه » ، رسم كاريكاتوري لجان فيير لاكلرا
في سنة ١٩٠١ في كتاب ادوار فوكس : **العصر الابروسي في الكاريكاتور** ،
١٩٠٤ . (بيون هو الاسم القديم والشمري لبريطانيا . وهي الهياكل . -
٥ - ديميتريا : إلهة الزنا والاريس لدى الاغريق ، وابنها كورا احدى
بوتس . ملك اعماق السفلى . وبروحها وقاسمها ملكة . -
٦ - ابولوريس : عذبة امرأته كوريس . عذبة مشهورة بجمالها . -
٧ - بربيتا : مدينة ارمينية قديمة في آسيا الصغرى . -

الصغرى . آجر مشوي يمثل بوبو . وهو عذرة عن جسم امرأة بلا
رأس ولا صدر . وعلى بطنه رسم وجه : والرداء المرفوع يحيط
بهذا الوجه وكأنه اكليل من الشعر (٨) .

٨ - سالومون ريناخ ، المصدر المذكور اعلاه ، ص ١١٧ .

في غربة من الوداعة والزراعة (This Swe Woman)
 مما ترك في انطباعا آسرا . وخطر
 الفكرة الثالثة : كلا ، لا وجود لله ؛ فلو
 سوف هذه المرأة العجوز الطيبة (This Dear Old Man)
 الى قاعة التشريح .

« في أثناء أوبتي في عصر ذلك اليوم الى بيتي انجلت . تحت
 دير الشهيد الذي رآته في فاء » الشريح . ارا بلا اصبع قدمي
 في كنيسة بعد ذلك اليوم ابدا . وكانت
 مذاهب المسيحية .

« لكن فيما كنت لا ازال اعيش تكري . ذلك كله ، طبق صوت
 يتكلم في داخل نفسي ، منها اباي الى . اب الفكير بمزيد من
 التروي بقراري .

« وفي الايام التالية ابان الله لثنسي بوضوح ان الكتاب المقدس
 هو كلمة الله ، وان كل ما تلقن اياه عن يسوع المسيح صحيح ،
 وان يسوع هو املنا الوحيد . وعلى امر هذا النجلي صر ارى
 في الكتاب المقدس كلام الله ، وفي يسوع المسيح متفدي . ومنذ
 نجلى لي الله مرارا ببيسات لا سبيل الى الخطا في سويها .

« بوصفتي طبيباً وأخاً (Brother Physician) ارجوك
 ان توجه افكارك نحو هذا الموضوع الهام ، واؤكد لك انك لسو
 اولته اهتمامك وفتحت له كل عملك . « هذا هو الله لمسك
 انما من الحقيقة ، نظره افدا .

« اني اكتب اليك اليوم لأطلعك على حادثة جرت لي فسي
 السنة التي كنت انهي فيها دروسي الطبية في جامعة س . . .
 كنت في عصر احد الايام في قاعة التشريح حين جاؤوا بجثة امرأة
 عجوز ووضعوها على احدى طاوالت التشريح . كان وجه تلك المرأة

« حادث من الحياة الدينية »^(١)

في خريف عام ١٩٢٧ نشر صحفي جرمانتي - امريكي (غ . س .
 فيريك) - وكنت قد سعدت بمقابلته - نص الحادثة التي دارت
 بيننا والتي تطرقت الى ضعف ايماني الديني والامبالاتي بالحياة
 بعد الموت . وقد فرئت هذه الحادثة المزعومة على نطاق واسع ،
 وعادت علي ، في ما عادت ، بالرسالة التالية من طبيب امريكي :
 « . . . اكثر ما اثير في كان ردك على هذا السؤال : هل تؤمن
 بفناء الشخص بعد الموت ؟ وقد اجبت : « هذا عندي سواء » .
 « انني اكتب اليك اليوم لأطلعك على حادثة جرت لي فسي
 السنة التي كنت انهي فيها دروسي الطبية في جامعة س . . .
 كنت في عصر احد الايام في قاعة التشريح حين جاؤوا بجثة امرأة
 عجوز ووضعوها على احدى طاوالت التشريح . كان وجه تلك المرأة

١ - ظهر هذا المقال لأول مرة في مجلة ايمانوا ، المجلد ١٤ ، ١٩٢٨ . - هـ

اثبات ذلك . وكانت نقطة الازج في الجواب توكيده لي بأنه يصلي
له من اجلي بحرارة ، سائلا اياه ان يهبني الايمان الحق
Faith To Believe .

ان هذه الصلاة لم تستجب بعد . غير ان الحادث الديني
الذي حدث لزميلي يدعو الى التأمل وإعمال الفكر . وقد لا أحجم
من القول بأنه يستاهل بذل محاولة لتأويله ورده الى دوافع
وجدانية ، لان هذا الحادث مدعش بعد ذاته ولا يستند الى
اساس مكين من وجهة النظر المنطقية . فمعلوم ، بالفعل ، ان الله
يدع فطائع كثيرة اخرى تحدث خلا تواجد جثة امرأة عجوز لطيفة
التقاطيع على طاولة للتشريح . هكذا كانت الحال في كل زمان
وآن ، وما كان لها ان تختلف يوم كان زميلي الاميركي يستكمل
دراسته . ومع ذلك ما كان يمكن لهذا الطبيب المبتدىء ان يكون
جامعا بلعالم الى حد عدم معرفه اي شيء على الاطلاق من جميع
تلك المصائب والفواجح . اذن فلماذا لم ينفجر تمرده على الله الا
عندما احس بما احس به في قاعة التشريح ؟ ان من اعتاد على
النظر تحليليا الى افعال البشر واحداثهم الباطنة لا يحتاج الى
إعمال الفكر كثيرا ليهتدي الى التفسير ، بل اكاد ان اقول ان هذا
الاخير انساب من تلقاء نفسه الى ذاكرتي . ففي اثناء مناقشة
اوردت فيها ذكر رسالة زميلي الورد ، وبيت انه كتب لي ان وجه
جثة المرأة ذكره بوجه امه . والحال ان ذلك لم يرد في رسالته
- وعند الامعان في التفكير نتبين انه كن من المستحيل ان يرد
فيها ذكر ذلك - ولكن ذلك هو التفسير الذي يفرض نفسه على
نحو لا يتاوم تحت تأثير الكلمات الرقيقة التي استذكر بها المرأة
اعجوز (Sweet Faced Dear Old Woman) . وعلى هذا الاساس
نستطيع ان نرد مسؤولية ضعف الحكم لدى الطبيب الشاب الى
الافعال الوجداني الذي حركه لديه ذكرى امه . واذا لم نستطع
ان نتحرر من تلك العادة السيئة التي جبل عليها التحليل النفسي
باصرارها على طلب شهادة تفاصيل ودقائق قابلة لتفسير بسيط

ومغايير دونما حاجة الى الشطط والعلو ، فسنفكر ايضا ان زميلي
وصفني لاحقا بانني طبيب واح (Brother Physician) .

في مقدورنا اذن ان نتمثل الامور على النحو التالي : ان مرأى
جسم المرأة العاري (او الذي سيعري) ذكر الفتى بامه ، وانفد
فيه الحنين الاموي المنبثق عن عقدة اوديب ، هذا الحنين الذي
لن يلبث التمرد على الاب ان يقترب به كتمكلمة له . وبما ان الاب
والله لم يتعدا لديه بعد بما فيه الكفاية واحدهما عن الآخر ، فان
ارادة ابناء الاب يمكن ان تغدو واعيه في صورته شك في وجسود
الله وان تسعى الى تبرير نفسها في نظر العفل بالخط الذي
تشره المعاملة السيئة التي يعامل بها الموضوع الاموي . والدافع
الفريزي الجديد المنقول الى الضمير الديني ما هو الا تكرار للموقف
الاوديبى ، ولهذا فانه ينتهي سريعا الى المال نفسه ، ويسقط في
تيار مضاد قوي . وفي اثناء النزاع لا يبقى مستوى النقل ثابتا ،
اذ لم يرد ذكر لاية حجج ترمي الى تبرير فعلة الله ، كما لم توضح
لنا ما البيانات الاكيدة التي اثبت بها الله وجوده للمراتب . بل
جدو ان النزاع دار في شكل عصاب هلوسي ، اذ سمع المراتب
اصواتا داخلية ثنته عن مقاومة الله . ويتظاهر مآل الصراع من
جديد على المستوى الديني ، وهذا المآل متحدد مسبقا بمصير
عقدة اوديب بالذات ، وهو يتمثل في خضوع كامل لمشنة الله
الاب ، فاذا بالفتى يرتد مؤمنا ، ويقبل بكل ما لقن اياه منذ مولده
اظفاره عن الله ويسوع المسيح . فلقد عاش حدثا دينيا . وكان
نصيبه الاهداء .

ان هذا ... من البساطة والشفافية بحيث لا ...
الا ان نساكن ان ... فيهم هذه الحالة يشكل خطورة اتي الامم
في سنو ... الاهداء ... والى لاحيل القاريء هنا الى كتاب
مدرسة ... من ... الاهتداء الديني . وولوسا ١٩٢٤
يستفيد من جميع مكشفات التحليل النفسي . ولدى مطالعة هذا
المؤلف يتأكد لنا ما كان يمكن لنا ان نوضحه ، صحيح ان ليست

جميع حالات الإهداء منه أسوأ من أسهوله التي أولنا بها
 أحدهم أي زواجهما ، التي حدثت في أمة غطت الآراء
 التي كرسها المحققون خلال هذا التوسيع . وما يعبر
 عن حقيقة هو كونها تربط مدسسه خاصة تسبب لشكك أن يكون
 بوجه آخره من أن يتبع عليه الفرد بصورة نهائية .

التحليل النفسي واثبات الوقائع في المضمون القضايا بمنهج تشخيصي^(١)

سادتي ،

أن الإدراك المتعاطف لضرورة عدم إلقاء ثقة كبيرة للشهادة ،
 التي تمثل في الوقت الراهن في مضمار العدالة أساس عدد لا
 يحصى من أحكام الأدوات ، قد عزز لديكم ولا شك ، انتم قضاة
 القدر ومحامييه . الاهتمام المنصب على مهني جديد في البحث
 والتنقيب قمين بأن يرغم المتهم على أن يشت بنفسه ، بفرائس

١ - محاضرة القاها فرويد في إطار دورس الدكتور لاوتز العملية نفس
 جامعة فيينا في حزيران ١٩٠٦ ، وظهرت للمرة الأولى في «ملفات الأسرولوجيا
 الإجرامية وتحليل الاجرام» التي كان يصدرها هانس غروس ، المجلد ٢٦ ،
 ١٩٠٦ .

موضوعية ، جرمه او براءته . وقوام هذا المنهج تجارب سيكولوجية ، واساسها مباحث سيكولوجية ؛ وهو وثيق الصلة بتصورات محددة لم تطوّر في مضمار علم النفس الطبي الا مؤخرًا . وانا اعلم انكم في سبيلكم الى امتحان صلاحية هذا المنهج الجديد ومدى قيمته بواسطة تجارب يمكن وصفها بانها «تمارين على انتباه» (Phantomubungen) ؛ وقد لبيت بثلث دعوة رئيسكم . الاستاذ لاوفلر Loeffler ؛ لاشرح لكم بمزيد من التفصيل وشائج هذه الطريقة بالتحليل النفسي .

انتم جميعكم تعرفون اللعبة الجماعية ولعبة الاولاد التي مؤداها الغاء كلمة ما وإلزام الشريك بأن يضيف اليها كلمة ثانية تؤلف ، متى ما اقترنت بالاولى ، كلمة مركبة . كقولنا مثلاً : سم ، سار = سمسار . وتجربة التداوي التي ادخلتها مدرسة فونت (٢) على علم النفس ما هي الا ضرب من لعبة الاولاد هذه وان افترقت الى شرط واحد من شروطها . وبالفعل ، ان قوام هذه التجربة إسماع شخص من الاشخاص كلمة ما - الكلمة الحائنة - وعلى الشخص ان يجيب عن هذه الكلمة بأسرع ما يمكن بكلمة ثانية تحظر بهاله ، وهذا ما يسمى بـ «الاستجابة» ، لكن من دون ان يفرض عليه اي حد في اختيار كلمة الاستجابة هذه . وموضوع الرصد والملاحظة هو اوقت الازم للاستجابة ، والعلاقة القائمة بين الكلمة الحائنة والاستجابة ، وهي علاقة يمكن ان تكون على قدر كبير من التنوع . غير انه لا يمكن القول ان هذه التجارب تمخضت في بادئ الامر عن نتيجة مرموقة . وهذا مفهوم . لانها اجريت من دون ان يطرَح السؤال على اساس معين . وكانت نفتقر الى

٢ - **فليم فونت** : فيلسوف وعالم نفس ألماني (١٨٢٢ - ١٩٢٠) . مؤسس علم النفس التجريبي . -م-

مكرة قابلة للتطبيق على النتائج المحرزة . وهي لم تأخذ كامل معناها ولم تصبح خصبة الا حين شرع بلولر (٣) Bleuler وتلاميذه في ميونيخ ، وبالاخص يونغ (٤) ، بالاهتمام بـ «تجارب الترابط» هذه . ومع ذلك لم تكتسب التجارب الاخيرة هذه من قيمة الا بفضل الفرضية التي تنص على ان الاستجابة للكلمة الحائنة لا يمكن ان تكون بنت المصادفة ، بل هي متحددة بالضرورة والحتم لدى المستجيب بمضمون سابق الوجود من التمثلات .

لقد اعتدنا ان نطلق اسم «العقدة» على مضمون التمثيلات القادر ، على هذا النحو ، على التأثير على الاستجابة للكلمة الحائنة . ويظهر هذا التأثير إما بان تسمى الكلمة الحائنة العقدة مساً مباشراً ، واما بان تفلح هذه العقدة في الاتصال بالكلمة الحائنة عن طريق توسطات . وجبرية الاستجابة هذه واقعة جذيرة بكل انتباه ؛ وأو راجعتم ما كتب حول هذا الموضوع لوجدتم كم كانت الدهشة التي اثارها كبيرة وسافرة . غير انه لا مجال للشك في صدق الواقعة ، لان بوسعكم بصورة عامة ان تختبروا هذه العقدة ذات التأثير وان تفهموا ، بفضلها ، استجابات كان من شأنها ان تبقى في غير هذه الحال لامفهومة ، وحسبكم لذلك ان تستجوبسوا الشخص الراذل للفعل حول دوافع استجابته . والامثلة الواردة في الصفحات ٦ ، ٨ ، ٩ من دراسة يونغ (٥) قميئة بأن تحملنا

٢ - **يوجين بلولر** : طبيب نفسي سويسري (١٨٥٧ - ١٩٢٩) ، حاول تطبيق نظرية فرويد في علاج فصام الشخصية - وكان يوسع مساهمة . -م-
٤ - **كارل غوستاف يونغ** : طبيب نفسي سويسري (١٨٧٥ - ١٩٦١) ، ساهم مع فرويد في تأسيس التحليل النفسي ، لكنه اختلف معه لاحقاً وانشق عنه . -م-

٥ - **يونغ** : **التشخيص السيكلوجي للفئات القانونية** في مباحث في الطب النفسي والقانون ، ١٩٠٦ ، م ٤ ، ٤ ، ٢ .

الذي يهمه أن يعرف ما إذا كانت بعض الوقائع المعروفة لديه معروفة أيضا من قبل المتهم بوصفه فاعل هذه الوقائع . ويبدو أن فرتهايمر Wertheimer وكلاين Klein ، وهما من تلاميذ عالم الاجرام هانس غروس Gross في براغ ، كانا اول من شرع بتعديل نظام التجربة في هذا الاتجاه ، البالغ الاهمية من وجهة نظركم (٨) .

لقد علمتكم تجاربكم بالذات انه توجد في الاستجابات - في اثناء تلك الاستقطافات ، نقاط استدلال شتى يبيح لكم ان تقرروا هل يعاني الشخص المفحوص او لا يعاني العقدة التي تسعون الى التأثير عليها بكلمات حانة . وسوف اعددتها لكم تباعا : ١ - المحتوى اللامتوقع للاستجابة والمستوجب لتفسير ؛ ٢ - اطالة زمن الاستجابة ، اذا لم تنلق الكلمات الحانة التي مست العقدة جوابا الا بعد تأخر ملحوظ (يبلغ في كثير من الاحيان اضعاف زمن الاستجابة المعتاد) ؛ ٣ - الخطأ الذي يظهر في التكرار . وانتم تعلمون ما الواقعة اللافئة للنظر الملعب اليها هنا . فعندما نعيد طرح مجموعة من الكلمات الحانة على الشخص المفحوص بعد مرور وقت وجيز على طرحها عليه في تجربة اولى ، نجده يكسور استجابات المرة الاولى عينها ؛ ولا يستبدل الاستجابة الاولى باخرى مغايرة الا بالنسبة الى الكلمات التي مست العقدة مباشرة ؛ ٤ - واقعة الاستمرار (وساقول بالاحرى : استمرار المفعول بعد انتهاء التجربة) . وبالفعل . كثيرا ما يحدث ان يستمر المفعول الناجم عن استيفذ العقدة بكلمة حانة (كلمة حرجة) تعنيها (وعلى سبيل المثال اطالة زمن الاستجابة) ، فيعدل حتى الاستجابات للكلمات التالية غير الحرجة . اذن . فحيثما تلتق هذه الفرائن كافة ، او عدد كبير منها على الاقل ، تكن العقدة التي

٨ - علاه يوبع ، المصدر الاتم الاكر .

نعرفها قد تكشففت عن انها باعثة على الاضطراب لدى الشخص المستنطق . وعليكم ان تفهموا هذا الاضطراب على النحو التالي : ان العقدة المائلة لدى الشخص المستنطق مشحونة وجدانيا وقادرة بالتالي على سحب كمية معينة من الانباه من مجهود الاستجابات ؛ وبذلك يحق لكم ان تروا في هذا الاضطراب حالة من حالات «الخيانة النفسية للذات» .

اعلم انكم تهتمون في الوقت الراهن بالمصادفات وبالصعوبات التي تكتنف هذه الطريقة التي من شأنها ان تفود الظنين الى فضح نفسه بنفسه موضوعيا ، ولهذا الفت انبهاكم الى الواقعة التالية: وهي انه يجري ، منذ نحو عشرة أعوام ، وفي مضمار آخر ، استخدام طريقة مشابهة تماما بفية كشف المادة النفسية الخفية او المخفية . وسأحاول ان اضع تحت انظاركم ، بقدر الامكان ، نقاط التشابه والاختلاف .

ان ذلك المضمار مغاير جدا بكل تأكيد لمضماركم . وقصدي هنا ان اكلم بالفعل عن طريقة علاج بعض «الامراض العصبية» التي تسمى بالاعصية النفسية والتي يمكن ان يكون من نماذجها الهستيريا والافكار الوسواسية . وهذه الطريقة تدعى بالتحليل النفسي ، وكنت انا من طورها بالاستناد الى طريقة المالمجسة التطهيرية التي كان ج. بروبر (٩) السباق الى استخدامها فسي

٩ - جوزيف بروبر : ريدل لفرود عمل معه في بداية حياته العلمية في مختبر الدكتور برنك وانترك معه عام ١٨٩٥ في تاليف كتاب بعنوان «دراسات في الهستيريا» . وكان بروبر يكره بأربعة عشر عاما ، وكان يستخدم التنبؤيسم المطبسي في علاج الرضى العصبيين ، ثم ما لبث ان استعاض عنه بطريقة التطهير (كاثاريسيس) التي تقوم على انتزاع الاسرار التي ترهق المريض من افكار وعواطف مكتومة . ولكن فرويد لم يقف عند الحد الذي وصل اليه بروبر ،

فبيب ١١ . وأسبباً للدعشة التي قد يبدونها . أحد راءد نفسي
 أن أعرض لكم التشابه الغريب بين المجرم والمهتر . فالامر مدغم
 كليهما أمر سي . أمر شيء محقق . لكن تحسباً نحن مقدرة .
 سيادراً للحال التي التوتيرة بالفارق بينهما . فالمرئى المجرم سر
 معروف عن قبله وهو يحفبه عنكم . أما المهتر فمحبوب من قبله
 ويخفى عليه هو نفسه . اذلك ممكن ؟ اجل . كما يتنا نعرف بعد
 داب وضول بحث : فجميع تلك الامراض تدى من كون اوسلك
 الاشخاص قد نجحوا نجاح عظيم في كت بعض اندرست
 واستمالات المشجونة شحنا وجدانيا قويا . وكذلك الرغبات المينة
 على هذه المذكريات والنمطلات . بحيث م عاذب في جبلنا نغم
 أي دور في فكرهم ولا نمثل امام وعيهم . وبذلك نحقق عليهم هم
 انفسهم . وانما من هذه المادة العسية المكونة . من هذه العدة .
 تدنى الاعراض البدنية والنفسية التي تقض مضاجع المرضى وكأنها
 ضمير مبيكت . اذن فالعارق بين المجرم والمهتر اساسي بصدد
 هذه النقطة .

غير ان مهمة كل من الطبيب المعالج وقاضي الاستنطاق واحدة
 مع ذلك ؛ فليعلم ان نكتشف ما هو خفي ومستتر في النفسية .
 وقد ابتكرنا لهذا الغرض مجموعة من طرائق الاستقصاء والتحري
 التي لا نشك في ان السادة رجال القضاء سيأخذون ببعضها .
 نل من المبدأ لكم ، من وجهه نظر علمكم ، ان تعلموا كيف
 نعمل نحن الاطباء في مضمار التحليل النفسي . فبعد ان يروي

== فانه سمعت عري المدعوين بين الانبياء . ومضى فرويد في طريق التحليل النفسي
 وحيدا . وقد كتب فرويد فيما بعد يقول : ان تطور التحليل النفسي قد كلفه
 صداقة بروبر وانه لم يكن من السهل عليه دفع هذا الثمن . لكن . لم يكن في
 مقدوري ان اعادى ما كان .
 —

١٠ - ج . بروبر وسعد . فرويد : دراسات في النفسانية ، ١٩٢٥ .

المرضى ثمة اولى نصته . مدعوه الى إحسان قيادة نفسه لدعاياته
 وأى إحراز م رداى حزمه بلا عيبه لدى . ونحن بذلك
 نشق من مرتبة . لا يتأخرها هو نفسه ايها . ومؤداهما ان
 بداعنه ان تكون اعصابه . بل يستحدد بعلاقاتها سره ؛
 - اعقدته - . بحيث يمكن اعتذارها . اذا جاز القول . فسائل (١١)
 من عقده . وكما ترون ، فانها عين الفرضية التي بفضلها وجدتم
 انه من الممكن تأويل تجارب الترابط . غير ان المريض . الذي
 طلب اليه ان تتبع القاعدة وأن يعلمنا بكل بداعنه . لا يبدو قادرا
 على فعل ذلك . فهو يمسك عنا تارة واحدا من تلك النداعيات ،
 وطورا واحدا آخر . متوسلا بذرائع شتى : فإما ان هذا التداعي
 عادم الاهمية . وإما انه خارج نطاق المسألة ؛ وأما انه عابر من كل
 معنى . وعندئذ نطالبه بإطلاعنا على تداعيه . وبمتابعته بالرغم من
 تلك الاعتراضات . وذلك على وجه التحديد لان هذا النقد ، باعلانه
 عن نفسه وتظاهره للنور . يقدم لنا دليلا على ان ذلك التداعي ذو
 صلة بالعقدة التي نسعى الى كشفها . ونحن نرى في مسلك
 المريض هذا تجليا لـ «المقاومة» الكامنة فيه ؛ هذه المقاومة التي
 تبقى ماثلة طول مدة العلاج . ويؤدي الإشارة باختصار الى ان
 فكرة المقاومة هذه قد تبست اعظم الاهمية في فهمنا لتكوين المرض
 والاولية شفافته على حد سواء .

ولا سمحكم انه ان للاحتراف مناسبه هذا النوع من بداعنه .
 في حذركم : وبالمثل نرح . الامكان . في استحقاقه . و
 رصد جميع المؤشرات والفراس النازرة المدعوه من مسلكه «اراد»
 على عمدة ما . فحين لا يعود المريض يجزئ على مخالفه القاعدة

١١ - انفسه ومترد في صلبه . في الاصل من عود خضع من سحره
 متعرج . -

التي املت عليه . نلاحظ مع ذلك انه يتوقف احيانا في تقلل نداعياته الينا ، وانه يتردد ويطيل الوقفات . وكل تردد من هذه الترددات ينم في نظرنا ، نحن ، عن مظاهر المقاومة ويكون لنا بمثابة علامة على الانسواء الى «العقدة» . والحال انه اهم مؤشر بالنسبة الينا ، مثله مثل امالة زمن الاستجابة بالنسبة اليكم . وقد جربنا هذا المجري في تاويل التردد ، حتى عندما لا يكون هناك ما يدل على ان مضمون النداعي المجموع ينطوي على اي إشكال . وحتى عندما يؤكد المريض ويجزم بأنه لا يستطيع ان يدرك لماذا يمرض انه يتردد في نقله الينا . والوقفات التي نلاحظها فهي التحليل النفسي هي بوجه عام اطول مدة من التأخرات التي تسترعي انتباهكم في تجارب الاستجابة .

اما ثاني مؤشر معلوم لديكم من مؤشرات العقدة ، أي تعديل مضمون الاستجابة ، فيلعب ايضا دوره في تقنية التحليل النفسي . فقد اعتدنا ان نرى دوما في أبسط تغيير بطرا لدى مريضنا على طريقة التعبير عن افكاره اشارة الى معنى خفي ، وقد نعرض انفسنا ، حتى عن طواعية ، بتسكنا بمثل هذا التأويل . لسخرينه وهزئه لآمد من الزمن . ونحن نترصد لديه على وجه التحديد العبارات التي يتظاهر فيها اللبس والتي تشف . من خلال التعبير الجيادي . عن المعنى الخفي . وليس المرعى وحده . بل حتى الكتيرو من زملائنا العاهيين بالمشه ابنحليله النفسيه وشروطها الخاصة بأن هنا ان يحضوننا معتم ويتهموننا بالشطط في الشطارة وبالغفلاء في التدفق الامور وفي تأويلها . بيد ان الحق غالبا ما يكون معنا في نهاية المطاف . وفي الحقيقة . ليس من الميسر ان يدرك ان السر المكتوم بعناية لا ينم عن عسه الا بالمعات طفيفة ، ملتبسة المعنى في احسن الاحوال . ونفسى النهاية نعتاد المريض على ان يقدم لنا في شكل «وصف لامباشر» كل ما نحن بحاجة اليه لإمالة اللثام عن العقدة . وفي مجال أكثر انحدادا ، نستخدم في التحليل النفسي

قرائنكم على العقدة ، الخطأ ، أي التغيير في التكرار . فأحدى المضللات التي كثيرا ما تطرح علينا تتمثل في تأويل الاحلام ، أي في ترجمة مضمون حلم تحفظه الذاكرة الى معناه الخفي . وقد نجد انفسنا احيانا في حيرة من امرنا ازاء الزاوية التي يجدر بنا ان نطرق منها المضلة ، وعندئذ يسعنا استخدام قاعدة اكتشفت اختياويا ومودها ان نحمل الحالم على ان يكرر على مسمعنا قصة حلمه . وعندئذ ، وبوجه عام ، يعدل الحالم طريقته فسي التعبير عن افكاره في نقاط شتى ، بينما يكرر اقواله بأمانة في نقاط أخرى . وعندئذ ايضا نعتكف على تلك النقاط التي شاب فيها النقل عيب ما . بفعل التعديل ، وغالبا بفعل الإغفال ايضا ، على اعتبار ان هذه اللامانة في النقل هي لنا بمثابة تأكيد على العلاقة بالعقدة ، ووسيلتنا المثلى الى طلب المعنى الخفي للحلم (١٢) . لكن لا تحسبوا انني انتهيت من بيان التطابقات التي اجد في طلبها عندما سأعترف لكم بأنه لا توجد في التحليل النفسي ظاهرة مماثلة لظاهرة «الاستمرار» . ومرد هذا الفرق الظهري السى الشروط الخاصة لتجاركم . فأنتم لا تتركرون . بالاجمال . لمفعول العقدة الوقت الكافي ليتظاهر ؛ فما ان تبدأ بإتيان مفعولها حتى تصرفوا انتباه الشخص المفحوص بكلمة حائة ، حيادية مسي الاجرع ، ولربما لاحظتم عندئذ ان هذا الشخص يبقى احيانا مشغولا بالعقدة بالرغم من اللبلة التي عرضتموه له . اما نحن فنحاذر ان نعرض الشخص الذي نحلله لمثل هذه اللبلة ، وندع مريضنا مشغولا بعقدته ؛ وبما ان كل شيء لدينا «استمرار» ان جاز التعبير ، فاننا لا نستطيع ان نرصد هذه الظاهرة على حدة ومفزولة عما عداها .

ووسعي نؤكد ما يلي : ان رس بعنه عمنه . الطارق
اسي سبكم . ابي بوسه المرفض جرد . ابي المكتوب . والى مع
حد ناسي شعس اسكروحي لا تراس دانه . كن مسن ان
ستشخصوا من هذا النجح استساجت حدد اسحاح المحصيل
لمباحثكم انهم . سجدت هت بعض الفوارق اني يسمن بها التوضع
السيكولوجي .

كنا اسلعلنا التنويه بالعارق اثرئيسي : فالمر لدى المريض
العصبي سر بالنسبه الي وعيه بالذات . اما لدى المجرم فلا سر الا
بأنسبه انكم اسم : لدى الاول حيل فعلي . وان له كن جمع
العاني انني يمكن ان يعطى للكلمه : اما لدى الثاني فلا رجود الا
لتظاهر بالجهل . ويترب عنى هذا عارق مهم آخر من وجهه النظر
العمليه . ففي التحليل النفسي يحاول المريض ان يساعدا بمسا
بدله من محدود واع ضد مقاومته . اذ انه يوقع ان يعود عنبه
العصص بمائدة : الشفاء ؛ وبالمقابل لا يعمل المجرم معكم . لانه لو
عمل معكم لعمل ضد كل اتاه . وبالمعاريه : فان مطلبكم الوحيد
من تحديكم اوسرل الى سمن موسوعي . سيما لا يد . في فن
الشفاء . من ان يصل المريض نفسه الى مثل هذا التبع . غير انه
يحيى ان يعرف ما العميات وما التعديلات التي سيعرضها على
طريعتكم اعدام هذا اساعور من جانب الشخص المحروس . وهذا
وضع لي يكون في مفدوركم ابدا على كل حال ان تحاو : سر
تعاريتكم المدرسية ؛ لان الزميل ابدي ستولى عندئذ دور النفس
سمنه

باطراد لدى المرضى العصبيين النفسانيين عقدة جنسية مكتوبة
(بأوسع معاني الكلمة) . فهذا ما لا نقيم له اعتبارا من منظور
الفروق . لكن لعمه شيئا آخر . ففهمه التحليل النفسي يمكن
تحديداه على النحو العظمي التالي في الاحوال طرا : ان المطلوب
اكتشاف عقد مكتوب بفعل مشاعر الكدر والتنقيص ، وهي عقد
تصدر عنها ، متى ما حاولت دخول مجال الوعي ، اشارات
مقاومة . وهذه المقاومة موضعية بمعنى ما : فمكانها التحسم
العاصل بين الاشعور والاشعور . اما في الحالات التي تولونها
اهتمامكم فالمقاومة تابعة بنهماها للشعور . وهذا الفارق لن
يسمكم التفاضل عنه ، بل عليكم ان تبادروا ، بواسطة التجارب،
الى التاكيد مما اذا كانت المقاومة الواعية تفضح او لا تفضح نفسها
بالعلامات عينها التي تنم بها المقاومة اللاواعية عن نفسها . ويخيل
الي ، علاوة على ذلك ، انكم لا تستطيعون ان تقطعوا بيقين فيما ان
كان من حقكم تاويل قرائنكم الموضوعية على العقد على انها
مقاومات ، كما نفعل ، نحن المعالجين النفسانيين . وبالرغم من
ان ذلك ليس متواترا لدى المجرمين ، فقد يحدث ان تكون العقدة
التي مستموها لدى الاشخاص موضوع تجاربكم مشحونة
بالأداة . ومن الجائر في هذه الحال ان تساءلوا عما اذا كانت
ستصدر عنها استجابات مماثلة لتلك التي كانت ستصدر عنها
قيما لو كانت مشحونة بالكدر والتنقيص .

بودي التنويه ايضا بما يلي : قد يحدث ان يدخل عنصر ما في
تجربكم . عنصر عادم الوجود بالطبع في التحليل النفسي . ففي
اثناء استقصائكم وتحريككم قد يضللكم مريض عصبي يرده الفعل
وكانه مذبذب ، مع انه بريء ، وهذا لان الشعور بالذنب الكامن
لديه والواقف بالرصاد على الدوام يعتيل الفرصة انني يتيحها له
الاتهام الموجّه اليه . ولا تحسبوا هذه الحالة اختلافا لا طائل فيه؛
بل حسبكم ان تتوجهوا بفكركم الى غرفة الاولاد لترصدوا حالات
مناظرة لها كثيرة . فقد يحدث ان تنحوا بالوم على ولد ممن

الأولاد على عمل ما سيء ، فينكر يبتعن راسخ غلظته ؛ لكنه في الوقت نفسه يبكي وكأنه خاطيء ضلّط في الجرم المشهود . وقد يداخلكم الاعتقاد بأن الولد يكذب اذ يؤكد براءته ، لكن قد لا يكون كذلك هو واقع الحال . فالولد لم يرتكب حقاً ذلك العمل السيء الذي تتهمون به ، بل ارتكب محله وبدلاً منه عملاً سيئاً آخر اهتم به جاهلون ولا تلمونونه عليه . اذن فهو محق في إنكار ذنبه المتعلق بأحد المعلمين السيئين ، لكنه يفضح في الوقت نفسه شعوره بالذنب عن العمل السيء الآخر . والمريض العصبي الراشد يتصرف هنا ، كما بصدد نقاط أخرى كثيرة ، تصرف الولد . وكثيرون هم الافراد الذين من هذه الشاكلة ، ومن الجائز لنا ان نتساءل عما اذا كانت طريقتكم ستوصل الى تمييز هؤلاء الناس - الذين يضلّعون انفسهم بانفسهم على هذا النحو موضع اتهام - من المدنيين الحقيقيين . وسأضيف ايضاً ما يلي : انكم تعلمون انه لا يحق لكم ، بموجب قانون الاستنطاق الجنائي ، استخدام سلاح المباغطة مع الظنين . وعليه ، فهو سيعرف سلفاً ان المطلوب منه الا يفضح نفسه اثناء التجربة ، وبوسعنا بالتالي ان نتساءل ان كان من الجائز ان نتوقع استجابات متعائلة في حال تركيز الانتباه على العقدة كما في حال انصرافه عنها ، وإلى اي حد يمكن لنية الكتم والإخفاء ان تؤثر على كيفية الاستجابة لدى هذا الشخص او ذلك .

وعلى وجه التحديد لان الاوضاع التي يفترض فيكم ان تجروا فيها تجاربكم تتميز بالتنوع الشديد ، ترون علم النفس يهتم بالغ الاهتمام بنجاحها . وقد يكون من المحبذ ان نتوجه اليكم بالرجاء بأن لا تيسرأسر ما ينبغي من جدواها العملية . اما اناساً شخصياً ، فان كنت من أبعد الناس بحكم اهتماماتي عن المساهمة في مزاولة القضاء ، فلن أثقل عليكم مع ذلك فيما لو عرضت عليكم اقتراحاً آخر . فمهما تكن ضرورية التمارين المدرسية على

التحضير للاستنطاقات الجنائية . فلن تتوصلوا ابداً الى استباق اتوضع انسبولوجي الذي يكون عليه التهم اثناء التحقق فسي دعوى ما . فما تمارينكم هذه الا «تمارين على الاشباح» ولا يمكن بحال من الاحوال ان تسوع التطبيق العملي بهذه الطريقة فسي دعوى جنائية . واذا كنا لا نريد العزوف عن الافادة منها ، فمما لنا الى ذلك الوسيلة التالية . فمن الضروري ان يباح لكم ، بل ان يفرض عليكم كواجب ان تقوموا بمثل هذه الابحاث طول سنوات وسنوات في كل ما يعرض لكم من دعوى الاتهام الجنائي الفعلية، ولكن من دون ان يؤذن لنتائج اني سحرونها عن هذا السبيل بالتأثير ولو بأقل مقدار على قرارات العدالة . والافضل في هذه الحال الا يتناهى الى العدالة العلم بالاستنتاجات التي تكون ابحاثكم قد قادتم اليها بصدد تجريم المتهم . وانما بعد قضاء سنوات كثيرة في تجميع الوقائع وإخضاع النتائج المحرزة لفحص مقارن ، يمكن ان تتسد الشكوك بصدد المنفعة العملية لهذه الطريقة فسي التحري السيكولوجي . وأنا اعلم ، بكل تأكيد ، ان تحقيق هذه الامنية ليس منوطاً بكم وحكمكم وباستاذكم النابه الذكر .

في فكرة الحلم» .

ويبدو أن مفسري الاحلام في العصور القديمة قد استخدموا على اوسع نطاق الغرضية التي مؤداها ان الشيء يمكن ان يدل في الحلم على تقيضه . ويسلم بهذه الامكانية ايضا الباحثون المعاصرون في مضمار الاحلام . وذلك بقدر ما يعرفون بصفة عامة بان للحلم معنى وتابولا (٢) . واعتقد اني لا اثير المعارضه انفس الآخر عندما افترض ان جميع الذين ساروا معي على طريق التويل العلمي للاحلام قد اقرؤا ولا بد بان التوكيد الانف الذكر قد اثبتت صحتة الوقائع .

لقد تيسر لي . اثناء مطالعتي بالمصادفة لكتاب نيلس . لك . آيل (٣) ، ان افهم سر هذا الميل الغريب الذي تتسم به عمل الحلم : اعني نزوعه اني تجاهل النعاض والى التفسير سئل واحد عن اشياء متعاكسة . واهمية الموضوع الاستشهاد هنا حرفيا بالمقاطع الفاصلة من بحث آيل اوسع استيعادي معظم الامثلة . وهي تطلعتنا . بالفعل . على عدا الامر الباعث على العجب : ان النهج الانف الذكر . الذي اعناد عمل الحلم سلوكه . هو ايضا من خصائص اقدم النعاض المعروفة . فبعد ان ثبت آيل قديم اللغة المصرية ، التي تكونت بد . قبل زمن طويل من عصر الفوش انهروغليفيقية الاولى . ردف قوله :

«اذن تشتمل اللغة المصرية . وهي الاثر الثمين الوحيد المنبغى

طباق المعاني في الالفاظ البدائية (١)

كمدخل الى هذا المقال ساورد فقرة من كتابي علم الاحلام اعرض فيها ملاحظة مستنتجة من البحث التحليلي ، وهي ملاحظة لم تحفل بعد بتفسير :

«ان الطريقة التي يعبر بها الحلم عن مقولتي التضاد والتناقض لباعثة على الدهشة حقا : فهو لا يعبر عنهما ، بل يبدو وكأنه بجعل ال «لا» . ولكم يبرع في الجمع بين الاضداد وفي تمثيلها في موضوع واحد . وكثيرا ما يمثل أيضا عنصرا من العناصر بتقيضه ، بحيث لا يسعنا ان نعرف ان كان عنصر بعينه من الحلم - قبل لتاويل متناقض - يشي بمضمون ايجابي او سلبي

٢ - اطروا ، على سبيل المثال ، غ . هـ . فور شوبرت : رمزيه الاحلام .

الطبعة الرابعة . ١٨٦٢ ، الفصل ٢ : لغة العلم .

٣ - صدر عام ١٨٨٤ على شكل كراسة من ان حكمة
اناله الى مجموعته الدراسات في هذه اللغة .

١ - هذا التعليق على كتاب كارل آيل (١٨٨٤) الذي حمل العنوان نفسه ظهر لأول مرة في حولة الكشف المحللة النفسية والرمزية النفسية .
المحدث ٢ ١٩١٠ .

من عالم بدائي ، على عدد معين من الالفاظ التي لها معنيان ، واحدهما هو بالضبط نقيض الآخر . ولنتصور ، اذا كان فيسي مقدورنا ان نتصور شيئا من هذا القبيل ، استحالة منطقيـة صارخة كالاستحالة التالية : ان كلمة **قوي** تعني في آن واحد القوي والضعيف ؛ وكلمة **ضوء** تفيد في الدلالة على الضوء والظلمة معا ؛ استحيل ان يورجوازيان من ميويـخ سمي **الجمعة** جمعة ، بينما استخدم يورجوازي آخر اللفظ نفسه في الكلام عن الماء ؛ فهذا يمكن ان يكون مثالا على الطريقة العجيبة التي كان قدامى المصريين يستعملون بها عادة لغتهم . وهل نستطيع ان تلوم ، بعد ذلك ، من اذا طرق مسامعه هذا الكلام هو راسه غير مصدق ؟» (ص ٤) (وتلي ذلك امثلة) .

«ازاء هذا المثال وغيره من الامثلة المشابهة الكثيرة على هذا الاستعمال الطباقى للفظ الواحد ، لا يمكن ان يخامرنا الشك في انه قد وجد ، في لغة واحدة على الاقل ، عدد معين من الالفاظ التي تشير الى الشيء ونقيضه معا . ومهما بدا ذلك باعثا على الاستغراب ، فاننا هنا امام واقعة لا مناص لنا من اخذها في حسباننا» (ص ٧) .

ويرفض المؤلف هنا التفسير الذي يعلل هذا الوضع بجناس عرضي ، وينكر ، بقوة مماثلة ، الفكرة التي ترد هذا الوضع الى مص في التطور العقلي المصري .

«والحال ان مصر لم تكن بحال من الاحوال موطنـن العبث واللامعقول . بل كانت على العكس موطنـا من اقدم مواطن العقل البشري الذي كان قيد التطور ... كان لها نظام اخلاقي صاف يفيض نبلا ، وقد صاغت القسم الاكبر من الوصايا العشر في زمن كنت فيه الشعوب ، الموقوفة عليها احضارة اليوم ، لا تزال تعدم الاضاحي البشرية لاصنامها الظمئة الى الدم . وان شعبا اشمل مصباح العدالة والحضارة في مثل تلك الازمنة المظلمة ما كان له ان يكون وليدا الى هذا احد في طريقته اليومية في الكلام والتفكير ...

وهؤلاء الناس ، الذين كانوا يتقنون صناعة الزواج ، والذين كان يسمعون ان يحركوا ويرفعوا بالالات كتلا ضخمة ، كان لديهم — ولا بد — قدر كاف من العقل كيلا يعتبروا ان شيئا من الاشياء هو ذاته ونقيضه في آن معا . فكيف نوفق بين هذه الوقائع وبين الواقعة الاخرى المتمثلة في ان المصريين حثبوا انفسهم بمثل تلك اللغة الغريبة والمتناقضة ... واعتادوا ان يعطوا الافكر الاشد تضادا جناسا لفظيا واحدا ، وان يربطوا في ضرب من اتحاد لا تفصم عراه بين ما يتنافى شقاه اشد التنافي ؟» (ص ٩) .

قبل ان نحاول الاتيان باي تفسير ، لا بد لنا ان نأخذ في اعتبارنا ايضا ان نهج اللغة المصرية العجيب هذا قد تميز وتوطد . «لعل الاغرب بين جميع غرائب المعجم المصري ما يلي : فعلاوة على الالفاظ التي تجمع بين المعني الاشد تعارضا . توجد في هذا المعجم كلمات مرجبة يؤلف فيها لفظان متعاكسا المعنى مركبا لس له سوى معنى واحد فقط من معنيي العكسرين المكوّنين له . وهكذا نجد ان تلك اللغة العجيبة لا تحوي فقط على العطف نعني **قويا وضعيفا** في آن معا بحسب ، او **امر واطاع** بحسب ، بل كذلك على كلمات مزجية مثل **شيخ - فتى** . **بعيد - قريب** . **ربط - فصل** : **خارج - داخل** ... وعلى الرغم من هذا الجمع بين الفاظ ذات معان متنافرة ، فان اولي هذه الكلمات لا تعني سوى **فتى** ، وثانيها **قريب** ، وثالثها **ربط** ، ورابعها **داخل** ... اذ فمن قصد وعمد حقا جرى الجمع في هذه الكلمات بين تناقضات في المفاهيم ، وذلك ليس بهدف خلق مفهوم جديد ، كما يحدث في اللغة الصينية احيانا ، بل فقط بفسد اشعير . بواسطة تلك الكلمة المزجية ، عن معنى جزء واحد فقط من حركيتها المتضادين ؛ علما بان هذا المعنى كان يمكن ان يؤديه هذا الجزء المنفرد وحده ...» .

يبد ان هذه المشكلة اسهل حلا مما يبدو . فمفاهيمنا ترى ان

بالاستناد الى المقارنة . «فلو كان الكون ميرا طول الوقت لمسا احتجا الى اجراء اية مقارنة بين النور والعتمة . ولما وجد لدينا لا مفهوم النور ولا لفظه ...» - «من الواضح ان كل شيء نسبي فوق هذه الارض وليس له من وجود مستقل الا بقدر ما تسمح له علاقته بالاشياء الاخرى بالاقتراب منها او بالتمييز عنها ...» - «ما دام المفروض في كل مفهوم ان يكون الشئ في احوال تغيره ، فكيف يمكن تعقله لأول مرة بالعكر . وكيف يمكن نقله الى الآخرين الذين يحاولون بدورهم ان يتفعلوا بالعكر . ان لم يكن يعينه الى تعينه ؟ ...» - «ما دام مفهوم القوة غير قابل للتصور خارج اطار طباقه مع الضعف ، فان الكلمة التي كانت تعبر عن **القوي** اكتسبت في الذاكرة معنى **الضعيف** ايضا . على اعتبار ان هذا المفهوم الاخير هو الذي اناح لها في البداية امكانية الوجود . وفي اواقع ، ما كانت هذه الكلمة تشير لا الى القوى ولا الى الضعيف حقا . اما فقط الى العلاقة بينهما والى العارق الذي خلفهما كليهما» (ص 15) - «والحال ان الانسان ما استطاع اكتساب اقدم رايه الاساسية الا بفعل التناقض بين الضد وضده : ثم روادا رويدا بعد ذلك علمت ان يحصل بين لفظي الطياق . وان يتعدل كل واحد منهما بالآخر من دون ان يعينه عن عمد بالآخر» . وما دام الكلام لا يفيد فقط في صوغ الفكر الفردي . بسبل اساسا وجوهرا في اتصاله الى الغير . فمن الجذر له ان يستدل عن الوسيلة التي كان «المصري البدائي» يلجأ اليها لابلأغ نداءه ب «الجزء الذي يقصده في كل مرة من هذا المفهوم المريح» ؟ لقد كان ذلك يتم في الكتابة بواسطة ما يسمى بالصورة «المعينة» . اي الصور التي كانت ترسم خلف الحروف المكتوبة لتشير الى معناه من دون ان يكون مطلقا انطلق بها في معيها . حين تعي كلمة كس المصرية **قويا** ، ترسم خلف الصوت الذي تعبر عنه الحروف المكتوبة صورة رجل واقف مسلح ؛ وعندما تعني هذه الكلمة عندها **ضعيفا** ، ترسم خلف الحروف المثلة للصوت صورة

رجل جالس مغمض . وهذه الكلمة الاخرى ذات المعنى رافق سي خي من سرور غسيرة من راء . فحسب . ولما كتبته اس . كتب الحروف المتحركة بحكمة المدونة هي على بعض معدة المراد في اللغة المنطوقه .

ان **الجذور الاكبر** بدانيه هي جذور التي تحدد دس . على ما سبقت . فظهر المعنى القسيمي المزدوج . ام في محرى طور امعه الاخرى . وان هذا المعنى المزدوج بلاشئ وبسبب دوسما ان لتتبع . في اللغة المصرية القديمة على اي حال . جميع المدرجة الاسمية من المعنى الطباق المزدوج التقديم الى المدلول الواحد الذي لتكلمات في لغتنا الحديثة . فالكلمات المزدوجة المعنى في الاصل تفصل في اللغة اللاحقة الى كلمتين لكل منهما مدلول واحد . وطرا على كلا المعنيين المساقطين ببعض التعدي . صوتي بطلان الجذر الواحد . فكلمة **كين** اقوى ، ضعيف ، على سبيل المثال . اعصاب حتى في الكلمة ابهر وعلفمة السي **كين** في . وان كان ضعيف . وبعبارة اخرى . ان المعنى اسمي ما يمكن الاختصار . ان الاطباء نصروا مع مرور الزمن مدونه لدى بعض المصريين ان حد كمي حوشر وحوش مسسكن كس واحد من الخرس و- من غلق معمار في اوقت محله بكل مسمما . وري آس ان هذه الترجمة - اساسية الاجراء المعتمد الى امعه المصرية - على وجود طاق في المعنى ابتدائية . فمعنى المصمم اعيا عن انوع استعماره واسميه - الاوردية . راسي ان يعرف الى اي مدى يمكن ان يحدث ذلك في امه حروف اخرى : رآه ذلك انه وان كس المعنى طباق في قد درس نفسه في رداء الامر . ولدى جميع امهوف والاجساد . على امشتر الناس اجروا عميت بغيره . فليس من الضروري ان يكون مد حري تعرفه او احد . فلفظه علمه في كل مكان .

ren - Niere Folium (Blatt) - the leaf , اورقصة
 dum - a , domos - باليونانية mèdh, mùdha.
 Kur - iti بالسنسكريتية , Mut, rauchen - kreischen - to shriek ,

يسمى آييل الى تفسير ظاهرة القلب الصوتي للالفاظ بتضعف الجذر وتشديده . وقد يشق علينا أن نجاري هنا فقه اللغة . وسندكر ببهجة الاولاد حين يلعبون بقلب الكلمات صوتيا . ولجوء عمل الحلم تواترا الى قلب المادة الفكرية لغايات شتى . لكن ليس ترتيب الحروف هو ما يقلب في هذه الحال . بل ترتيب الصور . اذن فنحن اميل الى عزو قلب الاصوات الى عامل بفعل فعله على مستوى اعق (٦) .

أن التوافق بين خصائص عمل الحلم التي اشرنا اليها فسي مستهل هذا المقال وبين خصائص العرف الالسنى التي اكتشفها فقه اللغة في اقدم اللغات ، يبدو لنا بمثابة توكيد للتصور الذي كونه لانفسنا عن التعبير عن الفكر في الحلم ، وهو تصور مؤداه أن لهذا التعبير طابعا نكوصيا حقيق العدم . وهنا لا نستطيع ان نرد عنا . نحن الاطباء النعسانيين . فكره مؤداه اننا سنكون أقدر على فهم لغة الحلم وعلى ترجمتها فما لو كنا اكثر اطلاعا على تطور اللغة (٧) .

٦ - حول ظاهرة الابدان في اللغة ، وهي ظاهرة قد يكون اوبى منه ايض من امسى العنسي الطاقى ضمن الحال ، دبرو احسا مع ب. مار - رنشن W. Meyer - Rinteln في المصحف الكولوني (Kölnische Zeitung) برنح ٧ آذار ١٩٠٩ .

٧ - من الطبيعي الافتراض انه امسى الاصلي الطاقى للكلمات ضمن الاوايه المسبقة الكون التي تستخدمها معه المسك في جذمه مول سى : فهاوم هذه اعته ان يقول الانسان عكس ما كان يريد قوله .

صعوبة امام التحليل النفسي (١)

سابدا بالتحديد بانني لا ازمع ان اتكلم عن صعوبة فكرة ، عن شيء يجعل التحليل النفسي عصيا على فهم من يتوجه اليه اسامعا كان ام قارئا . بل عن صعوبة وجدانية ، عن شيء يجعل التحليل النفسي يخسر تعاطف السامع او القارئ ويضعف من ميلهما الى ايلائه اهتماما وتصديقا . ويسير علينا ان نتبين ان هاتين الصعوبتين تتمخضان عن نتيجة واحدة . فمن لا يشعر بقدر كاف من التعاطف ازاء شيء ما ، يعجز ايضا عن فهمه بيسر . مراعاة مني للقارئ : الذي اتصوره من غير اهل الاختصاص . اراني مضطرا الى رواية القصة من اولها . ففي التحليل النفسي.

١ - ظهر هذا المقال لأول مرة بالجرم في مجله Nyugat التي كان صدرها ه. غوتوس في بودابست (١٩١٧) ، ثم تالافيه في مجله ايباغو .
 لجنه ٥ . ١٩١٧ . م

وبعد عدد كبير من الملاحظات والانطباعات الانفرادية ، تكون في خاتمة المطاف ضرب من نظرية ، يعرف باسم «نظرية الليبدو» .
فالتحليل النفسي يسعى ، كما هو معروف ، الى فهم الاضطرابات المسماة بالاضطرابات العصبية والى شفاؤها . وقد كان من الضروري ، للتصدي لهذه المشكلة ، العثور على نقطة يمكن التصدي لها منها ، فقرر الفرار على البحث عنها في الحياة الفريزية للنفس . وهكذا اوضحت جملة من الفرضيات التي تتعلق بحياة الانسان الفريزية هي الاساس الذي قام عليه تصورنا عن الحالة العصبية .

ان علم النفس ، كما يدرس في مدارسنا ، لا يعطينا ، عندما نستطفه حول مشكلات الحياة النفسية ، سوى اجوبة غير مقنعة . ولكن ما من ميدان يكتنف فيه الشك المعلومات التي يزودنا بها هذا العلم كميدان الفرائز .

وعلينا نحن تقع مهمة الاهتداء الى اول الطريق . ان التصور الشمسي يخص بالتمييز الجوع والحب ويرى فيها ممثلين للعرائز التي تنزع من جهة اولى الى بقاء الفرد ، ومن الجهة الثانية الى تناسله . ونحن اذ نأخذ بدورنا بهذا التمييز الذي يبدو طبيعيا تماما ، فنعزل على صعيد التحليل النفسي عرائز البقاء ، او غرائز الانا . عن الغرائز الجنسية ، ونطلق على القوة التي تتظاهر بها الفريرة الجنسية في الجاه انفسه اسم **الليبدو** (٢) . الى الرغبة الجنسية ، ونرى فيها سببا بصارع الجوع وارادة الفرد . الخ . في عداد غرائز الانا .

واطلاقا من هذا الغرض نحقق في هذا المضمار اول كشف

٢ - اللبدو : كلمة لاسمه الاصلي Libido . ومعناها الشهوة والتمني .
والشهوة والتمني والسرور والهوى والخاصة الطوعية . الخ .

هام لنا . فتنحن نكتشف انه بحاجة . كيما نعلم الامراض العصبية . الى ان نغزو المدلول الاهم - الالهة كتنح - الى اعراض الجنسية . وان الاعصية هي . ان جار اعصير . الامراض انوسه للوظيفة الجنسية . ونكتشف ايضا ان اسباب الفرد او عدمه اسبابه بعرض عصامي رهن بكمية الليبدو وبامكانيه تلبية هذا الاحصير وتعريضه من شحنته بإشباعه . وبهم ان شكل مرضه يحسده الكمية التي اشجز بها الفرد بطور وظيفته الجنسية . او . كما نقول . بالنشيطات التي عاهاها الليبدو عنده في اثناء هذا اسطور . واسمعه التي حورسا . وهي سبب من اساطير اعصير .

تمكننا من معارسة تأثير نفسي على المرض . وشيخ شا في ان واحد ان نفهم وان نرد العديد من ضروب الاعصية الى اسبابها . ومجهودنا العلاجي يحالعه اكبر نصيب من اشجاج حيا في معينه من الاعصية : تلك التي تنشأ عن الصراع بين غرائز الانا والغرائز الجنسية . اذ نرى بندر ان تبدو مطالب الغرائز الجنسية . التي تتجاوز بكثير نطاق الفردية ، للانسان وكنها خطر يهدد بساءه بالذات او تعديره - الموجب عليه - ندائه . وعندئذ يبادر الى اتخاذ موقف دفاعي . ويمنع عن الغرائز الجنسية الاشباع الذي تنو اليه . ويجبرها على سلوك طرق مواربة لحصول على إشباع بديل يتظاهر في شكل اعراض عصبية .

عندئذ يتوصل العلاج التحليلي النفسي الى اعادة احصير في سيرور الكنت ، رالى توجيهه ذلك اسراع الى مال افسسل وانسب للصحة . وهنا ينحى علينا اخصام غير متفهمين باللائمة . مهمهم اننا نسرعه الحصره . وبناغلاذ في تدبرنا لاسمية الغرائز الجنسية : فلانسان بلا ريب اهمامات اخرى غير الاهتمامات الجنسية ! وهذا في الحق ما لم ننسه او نكره لحظه واحدة . ووجه نظريا الحصرية أشبه ما تكون بوجه نظر الكيمياوي الذي يرد جميع مكونات المادة الى قوة الجذب الكيمياوي . وهو بذلك

شوى كاذبة Pseudopodes - اي استطلاات تنتشر فيها المادة الحية - والتي تملك المقدرة في كل آن وحين على ارجاعها الى ذاتها ، بحيث يعود شكل النواة الهولية الصغيرة كما كان من الاول .

ان ما سعيت الى وصفه بما تقدم هو نظرية الليبيدو فسي الاعصبة ، هذه النظرية التي على اساسها يقوم فهمنا لطبيعة هذه الحالات المرضية ويتم تدخلنا العلاجي فيما يتعلق بها . وغنى عن البيان اننا نعتبر مقترضات نظرية الليبيدو هذه قابلة للتطبيق ايضا على السلوك السوي . افلا نتكلم عن نرجسية الوليد الصغير ؟ اولا نمزو الى نرجسية الانسان البدائي الراجحة ايمانه بكلية قدرة افكاره ، وبالتالي تصوره بأنه مستطيع ، بواسطة السحر ، ان يؤثر على أحداث العالم الخارجي ؟

بعد الانتهاء من هذا التمهيد ، بودي ان اعرض كيف ان نرجسية البشرية ، عزة نفسها بوجه عام ، قد تعرضت حتى الان ، وبفعل التحري العلمي ، الى ثلاثة إذلالات خطيرة .

١ - في مستهل هذا التحري اعتقد الانسان في بادئ الامر ان الارض ، التي توفر له المأوى ، تقف ساكنة وسط الكون . بينما الشمس والقمر والكواكب تتحرك في مدارات دائرية حولها . وبذلك يكون قد صدق بساذجة حواسه ، لان الانسان لا يحس البتة بحركة الارض ؛ وحيثما امكن له ان يحيل نظره بحرية ، وجد نفسه في مركز دائرة تحوي العالم الخارجي . وكان الوضع المركزي للارض ضمانا له على كل حال على دورها الراجح في الكون بالتأثر مع ميله الى الشعور بينه وبين نفسه بأنه سيستد هذا العالم .

ان تقوّض هذا الوهم النرجسي يرتبط عندنا باسم نيقولا كوبرنيكوس وعمله في القرن السادس عشر . وقد كان ساور الفيتاغوريين قبله بحقبة مديدة شك حول هذا الوضع المنجز

لا يماري في الثقالة ، بل يترك الفيزيائي امر تقديرها .

لزام علينا ، في انشاء عملنا العلاجي ، ان نولي توزيع الليبيدو لدى المريض اهتمامنا . لذا نسعى الى كشف التمثلات الموضوعانية Objectales التي تثبت عليها طاقته الليبيدية . ونحرر هذه التمثلات لنفسها تحت تصرف الانا . وهكذا انتهيانا الى تكوين تصور متميز عن التوزيع البدائي لليبيدو لدى الانسان . فقد وجدنا انفسنا مرغمين على الافتراض بان كل ليبيدو اكل ميل ابروسي ، كل طاقة حيية) تثبت في بدء نمو الفرد على الذات ويتركز . كما اسلفنا ، على الانا الذاتي . وفي زمن لاحق فحسب . وبالارتكاز الى إشباع الحاجات الحيوية الكبرى ، يطفح الليبيدو من الانا على المواضيع الخارجية ، مما يتيح لنا ان نعرف الفرائز الليبيدية بما هي كذلك وان نميزها عن غرائز الانا . ويمكن عندئذ فصل الليبيدو من جديد عن هذه المواضيع وإرجاعه الى الانا .

وعلى الحالة التي يحتجز فيها الانا الليبيدو نطلق اسم **النرجسية** . فذكرت بالأسطورة الاغريقية عن نرجس الفتى . المغموم بصورة نفسه المنعكسة فوق صفحة الماء .

وبذلك نمزو الى الفرد القدرة على التقدم بتحوّله عن النرجسية الى الحب الموضوعاني . لكننا لا نعتقد انه من الممكن ان ينصب كل الليبيدو على المواضيع . بل يبقى على الدوام في الانا مقدار ما من الليبيدو . ونظل هناك درجة ما من النرجسية رغم وجود حب غيري نام ومتطور جدا . فالانسان خزان كبير ، ينسفع خارجه الليبيدو المخصص للمواضيع . وإليه يترد من جديد . وبما ان الليبيدو الموضوعاني كان في الاصل ليبيدو الانا ، فمن الممكن ان يتحول من جديد الى ليبيدو انوي . ومن الضروري لنمام صحة الفرد الا يفقد ليبيدوه حركيته الكاملة . وللتمثيل على هذه العلاقة حسيا . لتصور الممتورة Amibe التي تصدر مادتها الجامدة والمائعة

للأرض ، فأعلن أرسطارخوس الساموسي (٢) منذ القرن الثالث ق.م أن الأرض أصغر من الشمس وأنها تدور ولا بد حول هذا النجم . إذن فحتي اكتشاف كوبرنيكوس كان قد تم قبله . ولكنه حين حظي بالقبول العام منيت الكبرياء البشرية بإذلالها الاول ، الإذلال الفلكي .

ب - لقد ارتقى الإنسان ، في مجرى تطوره الحضاري ، الى دور السيد على أقرانه من الجنس الحيواني . ولكنه لم يكتف بهذه السيادة ، بل طفق يحفر هوة بينهم وبينه . فأنكر عليهم العقل ، وجبا نفسه بروح لا تفنى ، وتباهى بنسب إلهي سمح له بتمزيق كل رابطة تضامن مع العالم الحيواني . وهذا الصلف - وهذا مثير للفضول - يبني مجهولا من الولد الصغير كما من الإنسان البدائي . فهو نتيجة تطور لاحق ، ذي مطامح أوسع . فالإنسان البدائي ، في طور الطولومية ، ما كان يتحرج البتة من نسب عشيرته الى سلف حيواني . والاسطورة ، التي تحتوي عصارة هذا النهج القديم في التفكير ، تلبس الآلهة أجسام حيوانات ، كما يصور فن الأزمنة البدائية الآلهة برؤوس حيوانية . ولا يشعر الطفل باي فارق بين كينونته وكينونة الحيوان ؛ ولا يدهشه البتة أن تحدنه الحكايا عن حيوانات مفكرة وناطقة ؛ ويعزو الى الكلب أو الحصان شحنة الخوف الذي يبعثه والده في وجدائسه ، من دون أن تساوره في ذلك أية نية للانتقاص من قدر أبيه . وإنما بعد أن

يشب عن الطوق ، يتأى عن الحيوان ويصير يشتم الإنسان باطلاق أسماء حيوانية عليه .

إننا نعلم جميعا أن مباحث تشارلز داروين ومعاونيه وسابقيه قد وضعت حدا لادعاء الإنسان هذا منذ نحو نصف قرن مسن الزمن . فما الإنسان بغير الحيوان ، ولا بأفضل منه ، بل إنه متحدر هو نفسه من السلسلة الحيوانية ، وصلات قرباه ببعض الأنواع قريبة ، وبغيرها بعيدة . وفتوحاته الخارجية لم تتوصل الى محو علامات هذا التكافؤ التي تتجلى ان في بنية جسمه وان في استعداداته النفسية . وذلكم هو الإذلال الثاني للترجيحية البشرية : الإذلال البيولوجي .

ج - غير أن الإذلال الثالث ، وهو من طبيعة سيكولوجية ، أشد هذه الإذلالات وقعا وتأثيرا فيه .

فهمما تنحط مرتبة الإنسان خارجيا ، يظل يشعر بأنه سيد نفسه في ذات نفسه . وقد تكون في مكان ما ، في قلب أمه ، جهاز مراقبة وظيفته أن يتحقق مما اذا كانت الانفعالات المسرعة وأعماله تتفق ومطالب الانا . فان لم تتفق وإرباها ، لجمها بلا شفقة وردعها . ويقوم الإدراك الداخلي ، الشعور ، بتبليغ الانا بجميع السيورات الهامة التي تجري في الجهاز النفسي ، وتقوم الإرادة ، على ضوء هذه المعلومات ، بتنفيذ ما يأمر به الانا ، مصححة ما كان يود لو يتحقق بكيفية مستقلة . وآية ذلك ان هذه النفس ليست بالبسيطة ، وإنما هي بالاحرى تراتب من هيئات عليا ودنيا ، تشابك من حفزات تسعى الى تحقيق ذاتها باستقلال عن بعضها بعضا ، وتتناظر مع العدد الكبير من الفرائز ومن العلاقات بالعالم الخارجي ، على ما بين الكثير منها من تناقض وتناف . ومن الضروري للوظيفة النفسية ان تطلع الهيئة العليا على كل ما يجري الأعداد له ، وأن تنفذ أراقتها الى كل مكان كيما تمارس فيه تأثيرها . وبذلك يشعر الانا بأنه يستطيع الاطمئنان

٣ - أرسطارخوس الساموسي : عالم فلك أعريقي (نحو ٣٢٠ - ٢٥٠ ق.م) من أتباع فيثاغورس ، أظهرت له قياساته الهندسية للسافات بين الأرض والشمس والقمر بطلان نظرية أرسطو القائلة بأن الأرض هي مركز الكون ، وأفضت به هذه القياسات الى المبادئ بنظرية تعد الشمس مركز الكون ، ولكن مذهبه لم يلق قبولا في العصور القديمة وظل منسيا حتى أيام كوبرنيكوس . -م-

سواء إلى تمام المعلومات التي يتلقاها ونزاهتها أم إلى تنفيذ الأوامر التي يصدرها .

لكن على غير هذا النوال تجري الأمور في بعض الأمراض ، وبالتحديد في الأعصاب التي تصدنا لدراستها . فالأنا يشعر بالتضيق ، ويكاد يصل إلى حدود قوته في داخل بيته ، النفس . فإذا بأفكار تنبجس فيه من دون أن يعرف لها مصدرا ، ويفقد القدرة على طردها عنه . بل يبدو أن هؤلاء الضيوف الغريباء أقوى حتى من أولئك الذين القوا عصا الطاعة للأنا ، فهم يقاومون جميع قوى الإرادة التي كانت قد أثبتت فعاليتها ، ولا يبدون تأثرا بالتنفيذ المنطقي ، ولا يؤثر فيهم اثبات الواقع المنافي . أو قد تظهر إجباريات تبدو وكأنها صادرة عن شخص أجنبي ، فينكرها الأنا ، بيد أنه يخافها ويخشها مع ذلك ، فيضطر إلى اتخاذ تدابير احتياطية ضدها . ويقول الأنا بينه وبين نفسه أن ذلك مرض ، غزو أجنبي ، فيضعف من يقظته ، لكنه لا يستطيع أن يفهم لماذا يساوره مثل هذا الشعور العجيب بالعجز .

صحيح أن الطب العقلي ينكر أن تكون هذه الظواهر من فعل أرواح شريرة خارجية اتحمت الحياة النفسية ، لكنه يكتفي بعد هذا الإنكار بالقول وهو يهز كتفيه : انحطاط ، استمعداد وراثي ، نقص تكويني ! وبالمقابل يأخذ التحليل النفسي على عاتقه فك لفز هذه الحالات المرضية المقلقة ، وينظم أبحاثا طويلة ومدققة ، ويصوغ مفاهيم بدلية وإنشاءات علمية ، ويستطيع في خاتمة المطاف أن يقول للأنا : « لا شيء غريب قد دلف إليك ، وإنما هو جانب من حياتك النفسية الخاصة أغلت من معرفتك ومن سلطان ارادتك . ولهذا السبب أصلا تجد نفسك في منتهى الضعف في دفاعك ؛ فأنت تصارع بشرط من قوتك ضد الشطر الآخر ، ولا يسعك استجماع قوتك كلها كما تفعل فيما لو كنت تواجه عدوا خارجيا . وليس أسوأ شطر من قواك النفسية ولا

أنفه هو ما ينتصب في وجهك ويستقل عنك على هذا النحو . والخطأ ، ينبغي أن أقول ذلك ، خطأك . فلقد بالغت في تقدير قوتك حين خيل إليك أنه بمستطاعك التصرف على هواك بغرائك الجنسية وإنك لست مضطرا إلى أن تقيم أي اعتبار لصوباتها وتطلعاتها . عندئذ تمردت عليك وسلكت طرقها السرية الخاصة لتنجو بنفسها من القمع ، وأخذت حقها على نحو لا يمكن أن يرغبك . وأنت لا تعرف كيف تدبرت أمرها ، وأية طرق اختارت ، وحدها نتيجة هذا العمل ، أي العرض الذي يتظاهر بالالم الذي ينتابك ، وصلت إلى علمك . ولهذا أنت لا تعترف بهذا العرض فسيلة من غرائك المكبوحة ، وتجهل أنه أشباع بديل لها . « غير أن كل هذه السيرة ليست ممكنة إلا بشرط واحد : أن تكون على ضلال من امرك أيضا بصدد نقطة هامة أخرى . فأنت تعتقد أنك تعرف كل ما يجري في نفسك ، شريطة أن يكون على درجة ما من الأهمية ، لأن وعيك قمين بأن يعلمك به . وعندما تنقطع عنك أخبار ما يجري في نفسك ، تسلم بلمائية تامة بأنه لا يجري فيها شيء . بل لن تحجم عن اعتبار «النفسي» مطابقا لـ «الواعي» ، أي المعروف من قبلك ، وهذا بالرغم من دماغ الأدلة على أنه تجري في حياتك النفسية باستمرار أشياء أكثر بكثير مما يمكن أن يتكشف لوعيك . إذن دعنا نؤكد علما حول هذه النقطة ! « أن النفسي لا يتطابق فيك مع الواعي : فإن يجري شيء ما في نفسك وأن أتيت فضلا عن ذلك علمه ، فعاد ذلك بشعسي واحد . صحيح أن جهاز الاستعلام الموضوع في تصرف وعيك يمكن أن يفي عادة بحاجاتك . ويسر عليك بالتالي أن توهم نفسك بأنك تعرف كل ما له قدر من الأهمية . ولكنه في العديد من الحالات يخذلك ، وعلى سبيل المثال في حال نشوب واحد من تلك الصراعات الغريزية ، وعندئذ لا تذهب ارادتك إلى أبعد من حد معرفتك . غير أن معلومات وعيك تلك هي على كل حال ناقصة ،

وفي كثير من الاحيان غير موقوفة ؛ وفي احيان اكثر قد لا يأتيك علم الأحداث الا بعد حدوثها وبعد ان يسقط الامر في يدك ازاءها. ومن يستطيع ، حتى عندما لا تكون مريضا ، ان يتكهن بكل ما يدور في نفسك مما ليس لك به علم او مما يأتيك عنه كاذب العلم ؟ انك لتتصرف كعاهل مطلق يكتفي بالمعلومات التي يزوده بها كبار اهل البلاط ولا ينزل الى الشعب ليسمع صوته . الا عد الى نفسك وتعمق فيها ، وتعلم أولا ان تعرف نفسك ، فعندئذ ستفهم لماذا ستقع مريضا ، ولعلك ستتحاشى ان تصبح كذلك فعلا» .

هذا هو الخطاب الذي يود التحليل النفسي توجيهه الى الاناء. بيد ان الاضافتين اللتين يضيفهما الى علمنا، والمتمثلتين في ان الحياة الغريزية الجنسية غير قابلة للترويض الكامل في داخل انفسنا وفي ان السيورات النفسية هي بعد ذاتها لاداعية ولا تغدو في متناول الانا وفي امرته الا عن طريق ادراك غير كامل وغير اكيد ، تعادلان التوكيد بأن **الانا ليس السيد في بيته** . وهما تشكلان الإذلال الثالث للكبرياء البشرية ، وهو إذلال سائمتسه **بالسيكولوجي** . فهل من عجب في هذه الحال ان ضمن الانا بمطفه على التحليل النفسي وابي بعناد تصديق مدّعاة ؟

ولعلم قلائل من يدركون الامر على حقيقته : فالتسليم بفرضية السيورات النفسية الاداعية خطوة تترتب عليها نتائج بالغة الاهمية بالنسبة الى العلم كما الى الحياة العملية . لكن لنسارع الى القول بأن التحليل النفسي ليس هو اول من خطا هذه الخطوة. فقد سبقه على هذا الطريق فلاسفة مشاهير ، ونستطيع ان نسمي منهم في المقام الاول المفكر الكبير شوبنهاور الذي تعادل «الارادة» اللاداعية التي قال بها الفرائر النفسية التي قال بها التحليل النفسي . وهذا المفكر هو عينه الذي ذكر البشر على كل حال ، وبكلمات لا ينتسى عنفوانها ، بأهمية صبواتهم الجنسية الموهن من شأنها على الدوام . والفضل الوحيد للتحليل النفسي انه لم

يقدم على طبق من التجريد هاتين الاطروحتين ، الشاق احتمالهما على النرجسية : اطروحة الاهمية النفسية للجنسية Sexualité ، واطروحة لاشعورية الحياة النفسية . بل هو يسوق الدليل عليهما بواسطة مادة تعني كل انسان على حدة ، وترغم كل واحد على اتخاذ موقف من هاتين المشكلتين . ولكن لهذا على وجه التحديد يجزّ على نفسه العداء والمقاومة البشرية اللذين ما كانا لهما الا ان يتراجعا جافلين امام الاسم الكبير للفيلسوف .